www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 كانون الأول 2018

زيتون

العدد :185

أقنعة الموت

اللثام الذي أدفأنا في وقت ما.. أحرقنا اليوم

تيسير محمد

بعد رحلة التهجير من ريف دمشق إلى الشمال السوري قصدت صديقي "مهند" المتواجد في ريف إدلب فهو من أهالي المنطقة، وتربطني به علاقة أخوة من زمن سبق الثورة، وقد ساعدني بتوفير منزل أقمت فيه كان بالقرب لأحد أقربائه، وقد حرص على مرافقتي كلما أردت الذهاب إلى مكان ما في المنطقة بسيارته.

بعد عدة زيارات لنا لمدينة إدلب كنا نقضي بها بعض الحوائج، لاحظنا أن عناصر أحد الحواجز كانوا يبتسمون لنا كلما مررنا بهم مع بعض التهامس فيما بينهم، ومن المعلوم أن المدينة محاطة بحواجز عليها عناصر ملثمون يتبعون لهيئة تحرير الشام.

صديقي مهند لا يحب عناصر هيئة تحرير الشام ويشعر نحوهم بنفور مع انتقاده الدائم لفكرهم المتطرف وسلوكهم العنيف، حتى أنه يرفض مبادلتهم السلام أو الرد عليهم، ويعلل كل ما أصاب المحرر من مشاكل ومصائب لوجودهم، ولا عجب من ذلك لا سيما أن عرفنا أنهم قد قتلوا والده أثناء اعتدائهم على إحدى الفصائل في وقت سابق.

في أخر مرور لنا بالحاجز المذكور سألني مهند، هل كنت مع الهيئة سابقاً أو تعمل معهم حالياً؟

استغربت سؤاله مع ما يعرفه عني من تناقض فكري مع القاعدة وسلوكها، وحين أجبته بسؤال مقابل عن مغزى سؤاله، طالبني بتفسير ابتسام عناصر الحاجز لي؟ وفي دفاعي عن نفسي قلت لم لا يكون هذا التبسم لك مثلاً؟

وبعد فشلنا في معرفة سر الابتسام أو وجهته عزمت أن أسأل العناصر عن أسباب هذا التصرف، وفي اليوم التالي ذهبت إليهم واقتربت من أحدهم، فسلم علي بحرارة شديدة ومن ثم ضمني بين ذراعيه، في هذه اللحظات عرفته من صوته، كان أحد أصدقائي في ريف دمشق، ولكن عندما انضم لجبهة النصرة، فترت وتباعدت لقاءاتنا حتى باتت مصادفة.

قلت هذا أنت يا "عامر" فوضع يده على فمي قال: "أخفض صوتك لا أريد أن يعرفوا اسمي"، ثم نادى على شخص آخر فإذا هو صديق مشترك سابق اسمه "مهدي"، تبادلنا السلام والأخبار والعتاب وقبل أن أغادرهم طلب عامر مني زيارته، مبدياً رغبته في النقاش والحديث بشكل مستفيض، وبتبادل أرقام هواتفنا عدنا للحديث والتواصل بشكل شبه يومي.

حين زرته عاد الجدل في مواضيع كثيرة كان أهمها اللثام، فبدأت هجومي بالحوار التالي الذي دار بيننا:

– من المعيب أنكم ما زلتم تلبسون اللثام وأنتم في منطقة محررة تمثلون أو تدعون أنكم السلطة العليا فيها.

– تذكر عندما كنا نخرج في المظاهرات في حي الميدان، ألم نكن نغطي وجوهنا؟، فلماذا تنكر اليوم علينا أن نضع اللثام، أليست هذه مثل تلك؟

– شتان بين الأمرين، هناك كنا نتحرك في داخل دمشق التي يسيطر عليها نظام الأسد، وحراكنا كان في مناطق نفوذ العدو، غير أن الناسَ كانت تحملنا على الأكتاف، وتدعمنا بكل ما تستطيع، وعندما انتقلنا للمعمل المسلح، كنا نضع القناع ونتسلل بين السكان لتنفيذ مهمة ما، وهم راضون بقناعنا لمعرفتهم بعملنا، كما أن سياسة الانتقام الجماعي التي يتبعها النظام ضد كل من يعارضه، فقد يقتل أو يعتقل كل العائلة، ما فرض أن نغطي وجوهنا من أجل سلامة أهلنا".

– والآن يوجد الكثير من العملاء وأعداء الجهاد ومن يكره من يحمل السلاح ويكيد لهم، ويضع العبوات في طرقاتهم ويطلق النيران على صدورهم في المحرر.

– نعم قد يوجد عملاء لكنهم ليسوا سلطة ولا هم قوة وهي حالات شاذة وقليلة، أما إن كنت تقصد باقي الفصائل فأنتم من أعتدى عليهم واستبحتم دمائهم وسلاحهم بحجة التعامل مع الغرب وغير ذلك، ثم سرتم على نفس خطاهم، وضيقتم على الناس في أرزاقهم ومعيشتهم، فمن الطبيعي أن يأنفوا أفعالكم، ولكل فعل رد فعل.

– اللثام يعطي الهيبة والوقار للمقاتل وهذا ما يجب أن يتصف به.

– بل يزرع الخوف والرعب من أمثالكم، فمن لم يقتل برصاصكم خلال اعتداءاتكم على الناس، قتل ممن يلبسون لباسكم، ولو فرضنا جدلاً أنكم براء ممن يقوم بذلك، فأنتم تتحملون مسؤولية قانونية وأخلاقية، لأنكم أصحاب السلطة وأصحاب السنة في هذه العادة التي تصرون عليها.

– إرضاء الناس غاية لا تدرك، كما أننا لسنا الوحيدين الذي نضع اللثام.

– صحيح لا يمكن أن ترضي جميع الناس، ولكن هذا لا يمنع أن تقوم بواجبك، وتعمل على الحد من مخاوفهم والعمل على حمايتهم من إجرام الملثمين، ولأنكم أنتم ومن يماثلكم في المنهج والفكر من بدأ هذا الأمر، كان حله واجب عليكم.

شهدت المناطق المحررة وعلى رأسها إدلب خلال سنوات الثورة الكثير من الأحداث المؤسفة، وجرائم الفوضى التي طالما نسبت لمجهولون ومقنعون، يقف ورائها أشخاص ملثمون، كان أخرها خسارة إثنين من أبرز النشاطين من مدينة "كفرنبل"، وقبلهم العشرات الذين ضاعت دمائهم خلف أقنعة الموت دون معرفة الجاني ومحاسبته، ورغم ذلك لم تتخلى هيئة تحرير الشام عن سياسة تقنيع عناصرها، في عناد وتجبر لمطالب الأهالي، الذين ضاقوا ذرعا بهم.

من لم يمت بنيران الأسد أو في سجونه مات غدراً على يد منفلتون يرهبون الناس بلثام وسلاح، ولم تجد نداءات وصرخات الأهالي وحملات الناشطين المتواضعة المتكررة في منع اللثام آذنا صاغية حتى الآن.

التمسك باللثام كجزء من سياسة هيئة تحرير الشام وهي المسيطرة الأكبر على كل المحرر في الشمال، يكشف هدف هذا التنظيم وبعده عن أهداف الثورة، كما يكشف استهتاره بمشاعر الأهالي وامعانه في سلوكيات القمع والترهيب بعدما مج الناس زيف ادعاءاتهم وكذب نصرتهم.

ربما كان اللثام في وقت ما ضرورة لمن عمل في مناطق سيطرة النظام، وكان شرفا لمن يرتديه، لكنه تحول اليوم إلى أداة جريمة ودليلا على فساد سريرة الملثم ونيته في إفشاء الجريمة بالآمنين لا سيما مع زوال مبرراته "فالنار التي تدفئك في وقت ما قد تحرقك في أخر"

لماذا تجاهل المرسوم 10 أشد المناطق حاجة للتنظيم في دمشق وريفها!؟

خاص زيتون

أخي وأقربائي لا يجرؤون على التحدث على الهاتف معي حتى على التطبيقات التي تعتبر آمنة نسبياً مثل "واتس أب وتلغرام" فكيف سيذهب لتثبيت ملكية العقارات الخاصة بي؟ هكذا علق المقدم المنشق "عامر سعد الدين" على المرسوم رقم "١٠"، وأضاف: "القانون جاء ليغطي هذه الجرائم بصورة شرعية، وليقطع الأمل لدى جميع من شملهم القانون باستعادة أملاكهم، ولقد سمعنا ما صرح به عدد من مسؤولي نظام الأسد بما معناه، أن سورية التي يريدونها هي التي يعيش فيها المواطنين خانعين مستسلمين، ولو تقلص عددهم إلى النصف أو أقل، ويبررون جرائمهم بإعادة الاعمار والبناء مستغلين حالة الخوف والرعب من بطشهم، وجعل الأمر واقعا بقوة وإرهاب الدولة، في الوقت الذي لا يستطيع فيه أقارب المسلوبة عقاراتهم من أي درجة حتى السؤال عن أقاربهم، ولا ننسى أن ميليشيات الأسد من بداية الثورة سيطرت على أملاكنا التي تقع تحت سيطرتهم ويقومون بتأجيرها واستخدامها منذ ذلك الوقت، والمرسوم جاء ليشرعن ممارسات وانتهاكات ميليشياته".

واستطرد "سعد الدين": "حاولت مراراً بيع أملاكي في دمشق ودرعا، وطلبت من أقاربي مراراً أن يتفقدوها فقط ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك، ثم طلبت منهم توكيل محامي من أجل متابعة الموضوع فطلب ربع العقار فوافقت، ولكن عندما علم بأنني ضابط منشق لم يعد يجيب على هاتفه ومن ثم قام بحظري، أما السيارة الخاصة بي فقد اضطررت لبيعها كقطع عن طريق أحد الأصدقاء في السوق السوداء".

إذا أردت أن تعلم الحال الذي وصل له أهلنا في مناطق سيطرة الأسد، فلك أن تعلم بأن أحد أصدقائي طلب إلى أخيه إيصال حقيبة بها ثيابه الشتوية لامرأة تبعد عنه أقل من ٥٠٠ متر، لتقوم بدورها بتوصيلها إلى أختها القادمة إلى الشمال السوري عن طريق مناطق الأكراد، فرفض وقال له: "بدك تروحنا!"، بهذه العبارة ختم الضابط المنشق حديثه لزيتون.

المرسوم رقم /٦٦/

المحامي "عرفان الموصللي" تحدث لزيتون عن المرسوم من الناحية القانونية بقوله: "المشكلة بدأت بإصدار نظام الأسد المرسوم ٦٦ عام "٢٠١٢"، والذي اعتبر فيه أن المالك الذي لا يراجع المحافظة غير موجود، مما يعطي الحكومة الحق بنسف السجلات أو المعاملات العقارية الخاصة بالمالك الغائب، وهنا مكمن الإشكالية الأكبر في المرسوم، فكيف يزول ملك المواطن فقط لأنه لم يراجع؟، وكان يشترط بدايةً أن المراجع أو وكيله فقط من يحق لهم إثبات الملكية العقارية".المادة /٦/ من المرسوم رقم ٦٦ لعام ٢٠١٢:

أ – تدعو محافظة دمشق خلال شهر من صدور هذا المرسوم التشريعي المالكين وأصحاب الحقوق العينية في المنطقتين بإعلان ينشر في صحيفة محلية واحدة على الأقل وفي إحدى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والموقع الالكتروني لمحافظة دمشق وفي لوحة إعلانات المحافظة ولوحة إعلانات المنطقة للتصريح بحقوقهم، وعلى هؤلاء وكل من له علاقة بعقارات المنطقة التنظيمية أصالة أو وصاية أو وكالة، أن يتقدم إلى محافظة دمشق خلال ثلاثين يوماً من تاريخ الإعلان بطلب يعين فيه محل إقامته المختار ضمن مدينة دمشق مرفقاً بالوثائق والمستندات المؤيدة لحقوقه أو صور عنها "إن وجدت"، وفي حال عدم وجودها أن يذكر في طلبه المواقع والحدود والحصص والنوع الشرعي والقانوني للعقار أو الحقوق التي يدعي بها.ب-يجوز لأقارب أصحاب الحقوق في المنطقة التنظيمية من أي درجة كانت القيام بممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة السابقة نيابة عن أصحابها.نظام الأسد منذ عام ٢٠١٢ استغل موضوع التنظيم العقاري للانتقام من الثوار ومن حاضنتهم والأماكن التي كانوا يسيطرون عليها، وشمل المرسوم المذكور بداية "كفرسوسة – المزة" ومن ثمن ضم مناطق أخرى مثل: "داريا-القدم- نهر عيشة- بيادر نادر"، ومن خلال المرسوم قام نظام الأسد بخطوات كبيرة وأخلى عدداً كبيراً من سكان المناطق المذكورة، وهدم بيوتها وأعاد تنظيمها، مستفيدا من غياب عدد كبير من المالكين الذين عليهم مراجعة المحافظة خلال مدة شهر أو شهرين، ومن لم يراجع هُدر حقه واستُملكَ عقاره، والمرسوم يعطي الحق للنظام التصرف بالمناطق الذكورة فيستطيع أن يعيد تنظيمها ويحصر المالكين بها بناء على القانون الجديد والشروط التي وضعها من خلاله، على حدّ تعبير "موصللي".

المادة رقم /١/ من المرسوم ٦٦ لعام ٢٠١٢: تحدث في نطاق محافظة دمشق المنطقتان التنظيميتان التاليتان الواقعتان ضمن المصور العام لمدينة دمشق لتطوير مناطق المخالفات والسكن العشوائي وفق الدراسات التنظيمية التفصيلية المعدة لهما من محافظة دمشق وتصدق وفق القوانين والأنظمة النافذة.

المنطقة الأولى: تنظيم منطقة جنوب شرق المزة من المنطقتين العقاريتين مزة-كفرسوسة.

المنطقة الثانية: تنظيم جنوبي المتحلق الجنوبي من المناطق العقارية مزة-كفرسوسة- قنوات بساتين-داريا- قدم.

ما بين المرسوم /٦٦/ والمرسوم /١٠/ والتعديل

أوضح موصللي الفرق بين المرسومين بقوله: "المرسوم رقم ٦٦ كان خاصاً بالمنطقة الغربية من دمشق، وبعد خروج الثوار من الغوطة الشرقية أصدر النظام المرسوم رقم ١٠، الذي كان أعمَ من سابقه ويستطيع من خلاله إعادة تنظيم أي منطقة لحقها الخراب بحجة الإصلاح والإعمار أو المنظر غير اللائق "العشوائي"، وجعل المنطقة المستهدفة عبارة عن عقار واحد يعيد توزيعها فقط على من أثبت ملكيته وفي أي مكان ضمن العقار".

المادة /١/ من المرسوم رقم ١٠:

يصدر بمرسوم بناء على اقتراح وزير الإدارة المحلية والبيئة إحداث منطقة تنظيمية أو أكثر ضمن المخطط التنظيمي العام للوحدات الإدارية المعرفة بالمرسوم التشريعي رقم ١٠٧ لعام ٢٠١١ استنادا إلى دراسات ومخططات عامة وتفصيلية مصدقة وإلى دراسة جدوى اقتصادية معتمدة.

وتتطابق الفقرة /أ/ من المادة /٦/ في المرسوم رقم ١٠ مع سابقه باستثناء استبدال محافظة دمشق بالوحدة الإدارية، بينما تعدل درجة القرابة إلى الرابعة كأقصى حد للقرابة في الفقرة /ب/ من المرسوم رقم ١٠، بعد أن كانت "من أي درجة" دون تحديد سقف للقرابة بين المالك ومن ينوب عنه في المرسوم رقم ٦٦، والذي يشار إليه في تتمة المادة /٦/ أيضاً بما يلي:

تستفيد المنطقتان التنظيميتان المشمولتان بالمرسوم التشريعي رقم ٦٦ لعام ٢٠١٢ من أحكام هذا القانون باستثناء ما تم إنجازه وفق مرسوم إحداثهما.

وعن سبب الضجة التي رافقت المرسوم الأخير ولم تكن لسابقه يرى موصللي أن السبب هو شمولية الأخير واقتصار الأول على جزء معين كان تحت سيطرته منذ صدور المرسوم الأول، بالإضافة إلى وضع النظام المترنح آنذاك، وتوقع سقوطه في أي لحظة قبل تدخل روسيا بشكل مباشر، فضلاً عن أن المرسوم الثاني ترافق مع تهجير الغوطة وكامل الريف الدمشقي.

ومؤخراً وعلى خلفية الضجة والانتقادات العالمية للمرسوم رقم ١٠، تم إجراء تعديل بسيط على المرسوم، فقد أعفي من المراجعة من له ملكية ضمن السجلات العقارية، وتمديد مدة المراجعة إلى سنة كاملة بعد أن كانت شهراً واحداً، مع إمكانية الاحتكام للقضاء لاحقا في حال لم يثبت المالك ملكيته للعقار.

وعملياً إذا نظرنا للقانون باستقلالية يتضح لنا أن النظام درس المناطق التي ثارت ضده وقام بإعادتها للصفر، متجاهلاً الكيفية التي كانت عليها، فينتقم ممن عارضه وفي نفس الوقت يوفر أموالاً طائلة في موضوع إعادة الإعمار، إذ يكون النظام صاحب الحصة الأكبر من العقارات، وبهذا يستطيع أن يبرم العقود مع الشركات المختصة بهذا الأمر دون الرجوع إلى المالكين الحقيقين، فيكون تمويل الإعمار من أرزاق المواطنين أنفسهم، فضلاً عن المنافع والمآرب الأخرى للنظام، كعمليات التغيير الديمغرافي التي تمت في داريا ومناطق القلمون والزبداني ومضايا وغيرها.

الحقيقة المؤلمة هي أن لا معنى للقانون في سوريا منذ استلام آل الأسد سدة الحكم في سوريا، فالقصص التي يرويها السوريون عما فعل نظام الأسد أشبه بالخيال، ومنذ ذلك الحين وهو يقتل ويسجن ويصادر ووو.... ولا يوجد من يحاسبه، وإذا نظرت إلى دمشق ومحيطها لرأيت أن أسوأ الأماكن عمرانياً، وأكثرها إساءة للمظاهر الحضارية التي تحدث عنها رأس النظام في مراسيمه، وأشدها حاجةً للتنظيم وإعادة الإعمار ليس بعد الثورة فقط، وإنما منذ أن كانت العاصمة دمشق في أزهى حلة لها، وفي أوج ازدهارها، وعلى مسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات من القصر الجمهوري وقصر الشعب اللذين كانا يستضيفان زوارها، هي تلك التي يسكنها أبناء طائفته وحاضنته الشعبية "إذا جاز التعبير"، وفي مقدمتها "المزة ٨٦"، يليها "عش الورور" في حي برزة الدمشقي على أطراف أوتوستراد "دمشق-حمص"، بالإضافة إلى الكثير من المناطق والأحياء التي ينحصر سكانها بأهالي الساحل السوري، وهو ما يعزز وجهة النظر القائلة بأن سبب صدور المرسوم رقم "١٠" وغيره، هو في المقام الأول انتقام رأس النظام السوري من معارضيه وحاضنتهم، والعمل على تغيير بنية العاصمة ومحيطها جغرافياً وديموغرافياً.

ولكم لسان.. عن وقاحة الأنظمة العربية بتوصيف احتجاجات فرنسا

وعد البلخي

اليوم تعود بي الذاكرة إلى الوراء، بينما يتوه بي المكان، أسمع أصواتاً لم أسمعها منذ سنوات، وأرى الشرطة للمرة الأولى منذ ما يقارب الشهر، تنتشر في الطرقات وتقطعها، دخان يملأ السماء، نفذ الخبز لديّ ولا أستطيع التوجه إلى باريس لشرائه، ولا يوجد متاجر تبيع الخبز السوري بالقرب من بيتي، صور تتقاطع جميعها مع صور محفورة بالذاكرة، ولكن الفروقات بعيدة والمقارنة شبه مستحيلة.

نعم لقد سمعت أصوات انفجارات، لا أعلم ما إذا كانت ناتجةً عن إطلاق قنابل مسيلة للدموع من قبل الشرطة الفرنسية، أم عن زجاجات حارقة من المتظاهرين.

رأيت الشرطة تقطع جميع الطرقات المؤدية إلى حيث يتصاعد الدخان، لم أشاهد شرطياً يضرب متظاهراً سوى على الشاشات، ولكن ذلك لا يعني أن الشرطة الفرنسية لم تواجه المتظاهرين بعنف، ولكنها في الوقت نفسه ردت على العنف بعنف.

على بعد ٢٠٠ متر تقريباً، رأيت عمال الطوارئ يتظاهرون على طريقتهم، يسيرون بكل هدوء مرتدين سترات صفراء، في البداية انتاب الرعب كلّ من كان في ذلك المكان وبدأت المحال بإغلاق أبوابها، ولكن الجميع هدأ من روعهم عبارة «الطوارئ» ليتلاشى الخوف لديهم، ويبدأون بتصويرهم والسير خلفهم، ولتفتح المحال أبوابها، لم تصل الشرطة ولم نسمع أي صوتٍ في ذلك المكان.

-عندما اندلعت ثورتنا بدأت مظاهرات شعبنا السلمية، كانت سلمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كنا نحمل الورود وأغصان الزيتون، لم نؤذي إنساناً، لم نكسر كأساً أو نافذة، لم نقطع طريقاً أو نعطّل عمل إنسان، لم نسرق أو نحرق أو ندمّر.

ولكن شبابنا منذ اللحظة الأولى وجدوا الميليشيات الإيرانية على أسطح دوائر الدولة، وفوقهم المروحيات، وأمامهم كل أجهزة الأمن في البلاد، شرطة مدنية وعسكرية، جيش النظام ومخابراته، ولجان شعبية حديثة التشكيل ورويداً رويداً انضمت لها المرتزقة من كل أصقاع الأرض، فضلاً عن أقوى جيوش العالم وأحدث أسلحته.

خراطيم المياه والهراوات والقنابل المسيلة للدموع، وغيرها من وسائل العنف التي استخدمتها الشرطة الفرنسية في مواجهة احتجاجات السترات الصفراء، هي كمن يرمي بالورود مقارنةً بما لاقاه المتظاهرون السوريون من أجهزة الأمن في بلادي.

-حقاً؟!.. ولكن لا يجوز للشرطة الفرنسية أن تتعامل بهذا الشكل مع المتظاهرين على أية حال، أين حقوق الإنسان؟، ألسنا في فرنسا التي صدرت للعالم تلك الحقوق؟.. لكن في الحقيقة السترات الصفراء أيضاً تجاوزوا حدود المنطق والحق، لو لم يدمروا ويؤذوا، لو كانت مظاهراتهم سلمية وصادقة وظلّوا يطالبون بحقوقهم ويدافعون عن قضاياهم التي خرجوا من أجلها بأمانة، لكنّا خرجنا نحن وأبناؤنا معهم.

-لقد دمروا أنفسهم وقضاياهم بأنفسهم، وشوّهوا احتجاجاتهم وأضرّوا بالمدنيين الذين لا ذنب لهم ويعيشون ذات معاناتهم، ولولا ذلك لكان كل من يعيش على الأراضي الفرنسية، بل وربما في هذا العالم، يقف إلى جانبهم ويؤيد احتجاجاتهم، ففرنسا ليست كسوريا وشعبها ليس كالشعب السوري بالنسبة لهذا العالم.

-لقد ضاق الناس ذرعاً من كثرة الضرائب، والمعيشة غالية، لم يبقَ أمام ماكرون سوى أن يفرض علينا ضريبة الهواء الذي نستنشقه، وأن يضع لنا الكاميرات في منازلنا...، هذا كثير جداً وذوي السترات الصفراء محقّون ولكن!!

-بالنسبة لنا لم نخرج من أجل المال أو غلاء المعيشة، ولا حتى في بداية الأمر من أجل إسقاط النظام، لقد بدأت مظاهراتنا بعد أن طلب ابن عمة بشار إلى أهالي الأطفال الذين اعتقلهم إحضار نسائهم لإطلاق سراح أطفالهن، خرجنا ندافع عن كرامتنا وعرضنا وشرفنا، ونطالب بمحاسبة المخطئين، لكن الأسد أبى واستكبر.

ما بين ماكرون والأسد.. أزمة وثورة

على الرغم من أعمال الشغب التي شهدتها مظاهرات الأسبوع الأول، من قطع للطرقات الرئيسية والوطنية، ومنع وصول السيارات لمحطات الوقود، والاشتباك مع عناصر الشرطة، وسقوط مئات الجرحى في المدن الفرنسية، إلا أن وزارة الداخلية سمحت بالاحتجاجات في الأسبوع الثاني، ولكن عدد المتظاهرين في الشوارع انخفض إلى ما يقارب النصف، بينما ارتفعت وتيرة الشغب والعنف، حيث قام المحتجون بإحراق مئات السيارات، وتكسير المحال التجارية ونهبها، وتدمير وصل إلى جدران قوس النصر في باريس، وبلغت قيمة الأضرار حتى الأسبوع الرابع الحالي أكثر من ٥ مليون يورو، على الرغم من إعلان الحكومة الفرنسية إلغاء ضريبة الوقود في الأسبوع السابق.

الشرطة الفرنسية بدورها قابلت المحتجين بخراطيم المياه والقنابل المسيلة للدموع، بالإضافة لاعتقال الآلاف، من بينهم طلاب إحدى الثانويات، فضلاً عن حظر التظاهر في بعض المناطق.

وفي مساء العاشر من كانون الأول الجاري، وبعد اجتماع مع ممثلين عن النقابات العمالية ومنظمات أرباب العمل، أطلّ ماكرون على الفرنسيين في خطاب متلفز مباشر، أقرّ فيه بمسؤوليته ومسؤولية حكومته عن التظاهرات التي عمّت البلاد، كما أقرّ بحقّ المتظاهرين وبأحقيّة مطالبهم، مُديناً في الوقت ذاته العنف الذي رافق الاحتجاجات.

ورأى ماكرون أن لا غضب يبرر مهاجمة الشرطي أو نهب مكان أو متجر عام، مؤكداً بأن «الحرية تضيع عندما يندلع العنف».

وأعلن الرئيس الفرنسي في خطابه عن رفع الحد الأدنى للأجور بقيمة ١٠٠ يورو شهرياً اعتبارا من بداية عام ٢٠١٩، وإلغاء زيادة الضريبة على فئة أصحاب المعاشات التي تقل عن ٢٠٠٠ يورو شهرياً، وعدم فرض ضريبة على ساعات العمل الإضافي، وطالب أرباب العمل بدفع علاوات معفاة من الضرائب للعاملين، في حين أكد أنه لن يعيد ضريبة الثروة لكنه سيحارب التهرب الضريبي.

وقال ماكرون في خطابه الذي ميّزته عبارة «أفهمكم» في إشارة إلى ذوي السترات الصفراء: «سنرد على الوضع الاقتصادي والاجتماعي المُلحّ بإجراءات قوية من خلال خفض الضرائب بشكل أسرع، ومن خلال استمرار السيطرة على إنفاقنا، ولكن دون التراجع عن سياستنا».

ومع ذلك فإن خطابه لم يُقنع المحتجين، ولم يكن كافياً بالنسبة لهم، وأعلنوا منذ اللحظات الأولى مواصلتهم الاحتجاج دون توقف.

في بلادي لو أن رأس النظام حين خرج لأول مرة على الشاشات عبر منبر مجلس التصفيق (مجلس الشعب)، اعترف بوجود خطأ من قبل ابن عمته وابن خالته على الأقل، أو لم يكن يطلب اللجان والوجهاء بحجة محاورتهم وتهدئة نفوس الأهالي، بينما كان في الواقع يرسل عبرهم إنذارات وتحذيرات للمتظاهرين السلميين.

لو أنه لم يسخر من دماء الشهداء التي سالت على أرض درعا بأسلحة جنوده فقط لأنهم قالوا: «الشعب يريد محاسبة المخطئين»، لما توسعت المظاهرات وسالت الدماء وما تزال على كافة الأراضي السورية منذ ثمانية أعوام، وما كان المتظاهرين ليطالبوا بإسقاط نظامه.

لو أن الأسد تصرف بحكمة واحترام لشعبه، لو لم يكن حتى هذا اليوم ينعت الشعب السوري بنعتٍ لا يليق به من قبيل جراثيم وفيروسات وإرهابيين وغير ذلك، لمنع اندلاع هذه الثورة وما كانت لتتحول من ثورة سلميّة إلى مسلحة، إلا أنه لم يرد ذلك، بل ولم يوفر جهداً ولم يترك تنازلاً إلا وقدمه، ولكن ليس للسوريين، وإنما لكل حكومات وأنظمة ومرتزقة وجيوش العالم لتقف إلى جانبه ضد من كان شعبه.

إجراء بسيط جداً كان من الممكن أن يحقن دماء الملايين، ويحافظ على وحدة واستقرار وأمن المنطقة الذي زعزع الأسد كل ما فيها، وساهمنا لاحقاً بذلك بأخطائنا التي وقعنا بها كما وقع بها متظاهرو فرنسا منذ الأسبوع الأول، دون أن يستفيدوا من خطئنا، وعلى ما يبدو أنهم لن يفعلوا، وأن حرياتهم وحرياتنا ضاعت عندما اندلع العنف.

تعاطي الأنظمة العربية وإعلامها مع احتجاجات فرنسا

«إذا لم تستح فاصنع ما شئت».. هي أقل ما يمكن قوله مع حكوماتنا العربية وإعلامها، بدءاً من الأسد الذي رقص على أشلاء شعب حكمه بعد موت والده، وبعدً أن خسر ما يفوق ميزانية بلده ليحول أمواله في البنوك الأجنبية، والتي سرقها من عرق السوريين، وخسر مثلها أو ربما أكثر، وعقد ما عقد من صفقاتٍ وقدم ما قدم من تنازلات ليحصل على صمتٍ دولي عن تعديل الدستور خلال ساعات ليصل إلى سُدّة الحكم، ومن ثم يقتل ويعتقل ويشرد الملايين.

مروراً بحكومة الانقلاب المصريّ، الذي أطاح بالرئيس الذي انتخبه المصريون ويزجّ به وبكل من حاول لاحقاً منافسته على الحكم بالسجن، والذي لم يقل جملةً واضحة المعنى سليمة الصياغة منذ توليه الرئاسة بقوة العسكر، فما بالك بالأفعال؟!.

وصولاً إلى مملكة «أبي منشار»، التي جنّدت أكثر من ٢٠ فرداً ليقتلوا ويقطّعوا ويذيبوا جسد صحفيٍّ كان يرفض حتى أن يوصف بالمعارض، إلا أنه انتقد سياساتها وتهوّر وليّ عهدها.

إعلام النظام السوري الرسمي، أصبح اليوم يعرف مصطلح «المظاهرات السلمية»، ولكن لأنها خارج أرضه وعلى الرغم من أنها ليست سلميةً في فرنسا.

وأصبح عبر قنواته وإذاعاته وغيرها ينتقد الشرطة الفرنسية لاستخدامها القنابل المسيلة للدموع ضد المحتجين الذين لم تسلم منهم الممتلكات العامة ولا الخاصة، بينما استخدم هو الطيران والصواريخ المتطورة والأسلحة الكيميائية مراراً وتكراراً ضد السوريين، ودمّر ما لا يقل عن ٧٠٪ من البلاد.

اليوم يطالب أحد أبواقه فارس الشهابي عضو مجلس الشعب ورئيس مجلس «إدارة غرف الصناعة» التابعة للنظام في منشور عبر صفحته الشخصية على فيسبوك بفرض عقوبات سورية على باريس، ويصف المتظاهرين السوريين تارةً بـ «الإخونجية» وأخرى بـ «النبيحة»، ولكن لا ضير فكلّ إناءٍ بما فيه ينضح، وهو لا يعبر سوى عن نفسه وحكومته التي يؤيدها، ويكشف بهتان ادعاءات وسائل إعلامها وسياسة كيلها بمكيالين.

بينما بات اتحاد الطلبة التابع لنظام الأسد يدعي اهتمامه وحرصه على الطلاب السوريين في فرنسا، بعد أن اعتقل نظامه عشرات آلاف الطلاب من على مدرجات الجامعات، وقمع عشرات المظاهرات السلمية في حرمها، والأهم أنه هو من كان السبب في تهجير هؤلاء الطلاب والمثقفين والأهالي من بلادهم ووصولهم إلى المدن الفرنسية.

«إن الاتحاد الوطني لطلبة سورية اذ يشعر بالقلق للحالة المتدهورة في فرنسا، ويراقب عن كثب تطورات الأوضاع الخطيرة في باريس، يشدد على زملائنا الطلبة الدارسين هناك الانتباه الشديد خاصة في ظل تقطيع الطرقات وإيقاف بعض خطوط السكك الحديدية وانفلات الوضع تماماً في عدد من المناطق».

السفارة السعودية في باريس كانت السبّاقة في تحذير مواطنيها من الذهاب إلى مناطق الاحتجاجات في المدن الفرنسية كافّة، وقالت في بيان أصدرته قبل أسبوع: «نظرًا لما تشهده العاصمة الفرنسية باريس من مظاهرات وأحداث خلال الفترة الحالية، فإنّ السفارة تأمل من مواطنيها الزائرين والمقيمين، اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر، وملازمة مقار سكنهم غدًا السب ٨ كانون الأول ٢٠١٨، وعدم مغادرتها إلّا في الحالات الطارئة»، وربما كانت تريد منهم التوجه إلى قنصليّاتها.. لا أعلم!.

أما الإعلام المصري فيستحق جائزة أفضل إعلام عالمي، فقد اكتشف أن «الإخوان المسلمين» هم من يقفون خلف حركة السترات الصفراء، بينما يرى الفرنسيون أنفسهم أن الاحتجاجات مطلب حقّ ولكن للمرشحة الرئاسية السابقة دور في تأجيجها، بحسب مصادر إعلامية.

وفي الوقت ذاته يجول الأمن المصري على أصحاب محال بيع المعدات وتجهيزات الأمن الصناعي في كلّ من القاهرة والإسكندرية، محذّرين إياهم من بيع كميات كبيرة من السترات الصفراء، والإبلاغ عن أي شخص يحاول شراء كميات من هذه السترات، بحسب «الجزيرة».

إعلاميون عرب من دول مختلفة، كلٌّ منها فيه ما لا يمكن حصره من انتهاكات على كافة الأصعدة، عبّروا عن انتقادهم للشرطة والحكومة الفرنسية، معتبرين أن القمع الذي طال المحتجين يكشف زيف شعارات الحكومة الفرنسية، وكذب ادعاءاتها حول الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، على حدّ تعبيرهم.

ترى هل أصبحت الحكومات والأنظمة العربية تدرك تلك المفاهيم أكثر من الحكومة الفرنسية؟، وهل سبق لها وأن عملت بهذه المفاهيم ووفقاً لمبادئ العدالة والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان؟، وهل بات إعلامها يتمتع بمصداقية تجعل لها جمهوراً من المتابعين؟.. أسئلة كثيرة على تلك الحكومات وإعلامها الإجابة عنها قبل البدء بالحديث حول الأمور التي يرى الكثيرون أنها ما زالت بعيدةً كل البعد عنها، بل وربما تجهل معناها تماماً.

جامع خالد بن الوليد بحمص.. ترميم بعيدا عن شروط ومبادئ الترميم

"يا خالد، إن حمص هديتي إليك أقدّمها من بطلٍ إلى بطلٍ"، في القرن الثامن للهجرة كانت سلامة حمص من الأذى والتدمير على غرار عشرات بل مئات المدن على يد "تيمورلنك" هديةً لجثمان الصحابي والقائد العسكري "خالد بن الوليد"، وكانت المدينة الوحيدة التي سلمت من تدمير القائد التتري المعروف بأنه من أعتى طغاة العالم. على الجانب الآخر: "أيقونة أنتمي.. أقدم معاهدة سلام في العالم.. يسعدني أن أهديك إياها سيد ديميستورا".

ياسمين محمد

لم يكتفِ نظام الأسد بتدمير آثار الحضارات السورية قصفاً ونهباً وما إلى ذلك، وإنما تعداها ليقوم ممثله لدى الأمم المتحدة في بداية عام ٢٠١٨، بإهداء أقدم معاهدة سلام في العالم، فقط ليحاول إظهار نظامه بأنه من دعاة السلام رغم كل التدمير والقتل والبطش الذي يمارسه منذ ثمانية أعوام وحتى اليوم، في الوقت الذي يشتكي فيه مدير الآثار والمتاحف السورية السابق على صفحات "اليونيسكو"، من استهداف اللصوص للجوامع والمواقع الأثرية والتراث الثقافي السوري، مُغفِلاً ماهية هؤلاء اللصوص.

وفي محاولةٍ أخرى من النظام لإيصال رسالةٍ مشوّهةٍ أخرى للعالم، عمل على ترميم مسجد الصحابي خالد بن الوليد بحمص، قبل أن يتوقف لمدة على خلفية احتجاجات الموالين له في حمص، ثم يعود ليتابع بعد توقيع وزارة الأوقاف التابعة له عقداً مع الحكومة الشيشانية، فيما أطلق عليه زوراً وبهتاناً اسم "ترميم"، بينما اعتبره الكثيرون "تشويهاً".

مسجد خالد بن الوليد.. الموقع والتاريخ

في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة حمص وسط سوريا، والتي عُرفت باسم مدينة ابن الوليد، وأبناؤها باسم أحفاد خالد، وفي منطقةٍ كانت عندما بُني فيها الضريح القديم عبارةً عن قرية صغيرة، وتحوّلت بعد بناء المسجد إلى أحد أكبر أحياء حمص، وحملت اسم الصحابي أيضاً "حي الخالدية"، يتربع مسجد "سيف الله المسلول"، والذي يضم ضريح الصحابي وضريح ابنه بالإضافة إلى ضريح تقول بعض المصادر التاريخية بأنه يعود إلى حفيد الخليفة الراشدي "عمر بن الخطاب".

لم يكن تيمورلنك وحده من مرّ بجانب قبر ابن الوليد، فقد كان السلطان المملوكي الظاهر بيبرس قد سبقه إلى هناك، وهو من أمر ببناء ضريح فوق القبر، وذلك في القَرن السابع للهجرة وبالتحديد عام ١٢٦٢ ميلادي، وكان عبارةً عن ضريح خشبيّ متواضع، تمّ تجديده عدة مرات من قبل سلاطين المماليك، وفقاً للمراجع التاريخية.

ما بين عامي ١٨٩٥- ١٩٠٠ ميلادي، أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فرماناً يقضي بتكليف رئيس بلدية حمص بالإشراف على مراحل بناء الجامع وإنجاز ما يلزم. وتم هدم البناء القديم وبناء مسجد جديد فوق أنقاضه وفق الطراز العثماني، وعلى غرار مسجد أحمد في اسطنبول، مع إبقاء الطابع المعماري السوري المعروف بـ "الأبلق"، أي تناوب الأحجار البيضاء والسوداء، لتميز مسجد ابن الوليد، وتعطيه مزجاً رائعاً بين طرازين معماريين، بالإضافة للمنارتين المملوكيتين، واللتين تجاورهما تسع قباب بيضاء متفاوتة الأحجام والارتفاع.

كما ضم الجامع فضلاً عن بيت الصلاة والأضرحة، صحناً واسعاً، في الجهة الشرقية منه أربع قاعات إحداها كانت متحفاً للفن الإسلامي.

صُنِّف جامع خالد بن الوليد على أنه من أجمل المساجد الإسلامية، وبقي كذلك إلى أن تم استهدافه من قبل قوات النظام وميليشيات حزب الله اللبناني، بالصواريخ والمدفعية قصفاً ممنهجاً وعنيفاً في ٨ تموز عام ٢٠١٣، والذي أدى لتدمير القبة الكبرى في المسجد، بالإضافة للنصب التذكاري الذي يحمل المقولة الشهيرة للصحابي والقائد العسكري ابن الوليد: "لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء".

وتعرض الجامع للقصف مرات عديدة كان أشدها في ٢٩ تموز عام ٢٠١٣، إذ استُهدف حينها بالطيران والصواريخ وقذائف الهاون، كما قامت قوات النظام ميليشيات حزب الله باقتحامه وإحراق معالمه الداخلية، مما تسبب بدمار أجزاء من الجامع واحتراق أجزاء أخرى بما فيها الضريح الذي يضم رفات الصحابي خالد بن الوليد، وأظهرت الصور أكواما من الحجارة والقطع المعدنية في موقع الضريح الذي انهارت عليه كتل اسمنتية وألواح خشبية جراء القصف، وظهرت على مئذنته الفجوات التي خلفتها قذائف السلاح الثقيل.

مراحل الترميم

بعد منتصف عام ٢٠١٦، تولت وزارة الأوقاف في حكومة النظام أعمال ترميم المسجد، وتم ترميم كافة الفتحات في القباب والمآذن والجدران، بينما أُزيل السور المحيط بضريح ابن الوليد بشكلٍ كامل، وذلك قبل أن يقوم الموالون للنظام في مدينة حمص بتشكيل مجلس وجهاء للاعتراض على ترميم الجامع، وتتوقف على خلفية اعتراضهم أعمال الترميم بحجة ارتفاع التكاليف، وفقاً لما نقلته شبكة "بلدي" عن مصدر خاص.

وفي ٢١ حزيران عام ٢٠١٧، أعلن ممثل صندوق "أحمد قديروف" الاجتماعي الخيري الشيشاني في سوريا أن أعمال ترميم كلاً من الجامع الأموي في حلب، وجامع خالد بن الوليد في حمص ستنتهي في آب ٢٠١٨، وذلك بناءً على العقد الموقع بين وفد الشيشان الذي زار سوريا بداية عام ٢٠١٧ مع وفد النظام.

واعتبر نائب رئيس الجمعية التاريخية السورية الباحث الدكتور "حسام الدين الحزوري" في مقال له نُشر في "حرية برس" قبل نحو أسبوعين، أن عمليات الترميم التي تجري إنما هي تشويه متعمد للتاريخ، وقال: "يزعم نظام الأسد البدء بترميم المسجد الأثري، وذلك بعد احتلال مدينة حمص وتهجير سكان أحيائها القديمة، إلا أن الصور الواردة من عمليات الترميم الرخيصة تلك تظهر تشويهاً متعمداً لروح المسجد وجمالية عمرانه".

وأورد الباحث اعتماداً على الصور الواردة من حمص حديثاً وفق تعبيره، أبرز التغييرات التي طرأت على الجامع خلال ترميمه، ومنها استبدال الحجر في أروقة صحن المسجد وأقواسه بمادة الرخام أو السيراميك، كما استعمل فيه الحجر والرخام الترميم الجديد للضريح وتم إزالة كل معالم الضريح السابق، أما التابوت الأثري النفيس جداً، والمصنوع من الخشب، والذي كان قد قدمه الظاهر بيبرس ليحيط بمقام ابن الوليد، فقد تم إصلاحه في المعمل الفني التابع للمديرية العامة للآثار والمتاحف، وفقاً لـ "الحزوري"، الذي طرح عدة تساؤلات في ختام مقالته، من بينها الهدف من هذه التغييرات، وتخلي العصر الحالي عن تطوره عن العصرين المملوكي والعثماني الذي منع إعادة الرونق والجمال والروحانية للجامع على حدّ تعبيره.

تعريف الآثار ومبادئ الترميم الأثري

في آذار عام ٢٠١٤، أصدرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو"، قائمةً باسم "إرث عالمي تحت الخطر"، تضمنّت أسماء ٦ مناطق تاريخية في سوريا دمرتها الحرب، وبيّنت الأضرار الكبيرة التي لحقت بعدد كبير من الأضرحة التاريخية، والمتاحف والأسواق القديمة، بالإضافة إلى قرابة ١٠٠٠ مسجد، من بينها مسجد خالد بن الوليد بحمص.

وتنص معظم التشريعات على عدم إتلاف الآثار العقارية أو المنقولة، أو إلحاق الضرر بها، أو تشويهها بالكتابة أو الحفر عليها، أو تغيير معالمها، أو فصل جزء منها، أو التصرف فيها، إذ تعتبر تلك المواقع والآثار ممتلكات ثقافية وإرث حضاري عالمي، يتطلب الحماية والمحافظة عليه بشتى الطرق.

وتعد عمليات إعادة البناء للمباني الأثرية ذات الأجزاء المتهدمة أو المنهارة من أهم وأدق العمليات في مجال الترميم والحفاظ على تلك المباني، نظراً لما تحققه هذه العمليات من استمرارية بقاء تلك المباني الأثرية بتفاصيلها المعمارية والفنية، بل واستمرار أدائها لوظيفتها في محيطها العمراني في الكثير من الأحيان، وفقاً لما أورده المهندس المدرس بقسم ترميم الآثار بجامعة القاهرة "بسام مصطفى" في بحثه "دور عمليات إعادة البناء في الحفاظ على المباني الأثرية والمواقع التاريخية".

وهو ما يتناقض فعلياً مع ما قام به النظام في عمليات ترميم جامع خالد بن الوليد، والذي يتطلب ترميماً أثرياً بأيدي مختصة بالترميم، وضمن القواعد والمبادئ والضوابط التي من المفترض أن تخضع لها عمليات ترميم أي مبنى أثري أو تاريخي ذو قيمة ثقافية عالمية، إذ كان من الواجب أن يحافظ الترميم على التفاصيل المعمارية والفنية للجامع.

ولم يكن انتقامه من جامع خالد بن الوليد، الذي حرّض من على منبره العديد من المشايخ على مدى القرن الماضي على الثورة ضد الاحتلالين العثماني والفرنسي، وواصل دوره في الثورة السورية الحالية، حيث احتضن المتظاهرين من كافة الطوائف، وإنما انتقم من آلاف المواقع الأثرية والأوابد التاريخية، لا سيما المساجد التي انطلقت منها المظاهرات السلمية منذ بداية الثورة.

كتب المكتبة الدمشقية.. رحلة تهجير أم نزوح إلى الشمال

خاص زيتون

بلا ضجة إعلامية، وفي وقت حرج كانت فيه المفاوضات تجري حول تحديد مصير الثوار في جنوب دمشق، بدأ العمل بمشروع المكتبة الدمشقية في بلدة يلدا في شباط عام ٢٠١٧، بخطوات مدروسة تطورت تدريجيا لتحقيق نجاح موضوعي في ظل الحصار مدفوعا بضغط الحاجة للمعرفة والثقافة.

لم يدم عمر المكتبة الدمشقية أكثر من خمسة أشهر لتشهد بلدة يلدا والريف الدمشقي عمليات التهجير، فبعد افتتاحها في ٢ كانون الأول ٢٠١٧ تم إيقاف العمل بها نهائيا في أيار ٢٠١٨ مع نهاية التهجير، ليتم التوافق ضمن فريق المكتبة على نقل جزء منها إلى الشمال السوري والإبقاء على الجزء الأكبر في المكتبة.

كما تم الاتفاق على إبقاء ٧ آلاف كتاب كانت قد رتبت في المكتبة الدمشقية في مبنى السجل المدني، الذي تم اختياره كمقر للمكتبة، وذلك مراعاة لمن قرر البقاء في البلدة، فيما نقل ما يقارب ٥ آلاف كتاب إلى الشمال السوري تحسبا لعدم المخاطرة بكامل الكتب في حال صودرت أو تعرضت لحادث.

وعن المفاوضات التي سبقت إخراج الكتب قال "عاطف أبو الخير" أحد المشرفين على المكتبة لزيتون: "حاولت من خلال علاقاتي ومعارفي أن نحصل على موافقة لإخراج المكتبة بكل ما تحتويه نحو الشمال، وتواصلت مع العديد من الجهات حتى مع الوفد الروسي المفاوض ولم ينجح الأمر، بل حاولوا إقناعي بالبقاء في المنطقة والإشراف على المكتبة في مكانها، كما ضغط بعض وجهاء وفاعليات المنطقة من أجل عدم إخراج الكتب باعتباره صرح قائم ومفيد للمنطقة بشكل عام".

ويضيف "أبو الخير": "عند بدء التهجير وخروج الحافلات من المنطقة، لاحظت سماح الوفد الروسي بإخراج العديد من الأشياء الغير ضرورية كالدجاج والطيور والقطط وغيرها، فعزمت على إخراج الكتب، واتفقت مع مجموعة من الأصدقاء على ذلك وجَعله أمراً واقعاً، وبالفعل تم تجهيز الكتب التي في المستودع للنقل، بالإضافة إلى ألف كتاب مميز من التي كانت قيد الاستخدام، وعند دخول الباصات المخصصة للتهجير قمنا بتحميل الكتب في إحداها".

ويتابع أبو الخير في سرد قصة رحلة الكتب: "عند وصول الباص لنقطة التفتيش حاول الوفد الروسي وعناصر من نظام الأسد منع الكتب من الخروج بحجة أن الباص لا يحمل سوى خمسة أفراد فقط، وأن الباصات مخصصة لنقل البشر وليس لنقل الكتب، وجرى سجال طويل مع الوفد الروسي، وحاولوا الضغط لإنزال الكتب أو إرجاعها للمنطقة، لكننا تمسكنا بعدم إنزال أي كتاب، واستفدنا من عامل الوقت بعدم قدرة الوفد تأخير خروج القافلة ريثما يتم حل هذا الإشكال الذي يتطلب الكثير من الوقت، إضافة إلى عدم أهمية الكتب لدى الروس ونظام الأسد، إنما كان همهم الأكبر خروج مقاتلي المعارضة وعدم خروج السلاح الثقيل وتجاوز قطع السلاح للعدد المتفق عليه، وسار باص الكتب في القافلة وصولاً إلى "معبر أبو الزندين" في منطقة "الباب" وتأخر دخول القافلة خمسة أيام حتى حصلنا على الموافقة لدخولنا منطقة سيطرة المعارضة، ومن ثم دخلنا إلى منطقة الباب حيث نسقنا مسبقاً مع "مؤسسة قيم" لوضع الكتب لديهم ريثما نقوم بتجهيز مكان وتفعيل المكتبة من جديد".

لم يكن حال الكتب في الشمال السوري بأفضل من حال أصحابها المهجرين، إذ تعرضت في رحلتها للأمطار والفوضى وضياع قسم منها، وتركها في أماكن لم تكن آمنة فيها كبعض المخيمات، إضافة إلى الإهمال وعدم تقدير أهميتها، ويوضح "أبو الخير" ما تعرضت له الكتب بعد وصولها إلى الشمال السوري قائلاً: "للأسف صدمنا بالأمر الواقع من حيث التكاليف الباهظة لهذا الأمر، ناهيك عن تشتت فريق المكتبة في أماكن متباعدة، وعدم اهتمام غالبية مؤسسات وفعاليات المعارضة في موضوع الثقافة والعلم بشكل عام، واضطررنا لترك الكتب في مخيم جنديرس فترة طويلة قبل أن يتم نقلها لمؤسسة قيم".

حالياً يتم استثمار الكتب من خلال "مؤسسة قيم" في منطقة الباب وتفعيلها في ضمن خطط المؤسسة الثقافية، والأخيرة من أفضل المؤسسات الفاعلة في موضوع العلم والمعرفة، ولديهم المكان المناسب ومكتبة عامة والعديد من النشاطات الجيدة جداً في هذا الخصوص".

وعن رد فعل الناس من عملية نقلها يردف: "لم نكن نتوقع أن تصل الكتب إلى الشمال السوري، وكان معظم من يعلم بإخراجنا للكتب يضحك أو يشعر بالغرابة، وقد نجحنا بإخراجها من خلال جهد جماعي من فريق المكتبة وبعض الأصدقاء"، متأملا أن يكون المشروع أكثر فائدة وأعم من خلال مكتبة عامة متاحة لجميع من يرغب بالقراءة والمعرفة في جميع المناطق الخاضعة لسيطرة الثوار.

ويرى "أبو الخير" أن استخدام الكتب حالياً يتم بشكل جيد وبمناخ ملائم لدى مؤسسة قيم، بعد أن عرضت الكثير من الجهات والمنظمات بأن توضع الكتب لديهم، ولكن لم يشعر فريق المكتبة بالراحة لبعض هذه الطلبات، إذ أن هدفهم غالباً تحقيق غايات ومصالح أو دعاية إعلامية لتسويق أسمائهم.

مؤسسة قيم

تأسست مؤسسة قيم في الداخل السوري عام ٢٠١٣، بهدف تعزيز التعليم والثقافة والتدريب، ومن أولى إنجازاتها بحسب تعريف لها عن نفسها، هو تأسيس مكتبة عامة باسم "مكتبة قيم" في مدينة الباب بريف حلب، وإغنائها بأهم الكتب الفكرية والعلمية والإسلامية.

وكانت مكتبة قيم قد بدأت في حي الوعر الحمصي عام ٢٠١٣ وضمت مؤلفات مميزة ونادرة في مجالات متنوعة، انتقلت بعدها إلى مدينة الباب بعد حملة التهجير القسري عام ٢٠١٧، وأعيد هيكلتها من جديد، مع قسم جديد لكتب الأطفال، ووصل عدد كتبها إلى ٨٠٠ كتاب قبل وصول كتب المكتبة الدمشقية إليها.

وعن مساهمة الكتب في الوضع الثقافي في المنطقة قال المدير التنفيذي لمؤسسة قيم "عبد الحسيب المعصراني" أن الكتب قد ساعدت الطلاب في مختلف المراحل الدراسية وطلاب المعاهد والجامعيين بتقديم الكتب والمراجع الورقية والإلكترونية، كما قدمت لطلاب الدراسات العليا المراجع اللازمة لهم، فضلا عن بناء الوعي ونشر الثقافة وتفعيل دور القراءة لدى شريحة الأطفال والشباب.

استطاع مشرفو المكتبة قبل تهجير أهل الوعر من حمل ما يقارب ٥٠٠ كتاب من أصل ٢٨٠٠ كتاب، وبمساعدة بعض التبرعات المقدمة من عدة جهات وأشخاص، تم افتتاح مكتبة قيم في مدينة الباب في شهر أيار ٢٠١٧.

وتقدم المكتبة خدماتها عبر طريقتين، الإعارة الخارجية والقراءة الداخلية، بحيث يمكن للقراء اصطحاب الكتب لقراءتها في المنازل أو الاطلاع عليها في صالة المكتبة.

وتشهد المكتبة حاليا إقبالا لا بأس به من قبل المهتمين بالقراءة والكتب ولا سيما بعد تخصيص قسم مستقل لكتب المكتبة الدمشقية التي بلغ عدد كتبها ٢١٠٠ كتاب، إضافة إلى ٨٠٠ كتاب في مكتبة قيم، ورغم أن الكتب متاحة للجميع للإعارة والقراءة إلا أنها لم تتعرض لأي هدر أو اهمال بحسب مسؤول العلاقات العامة في مؤسسة قيم "أسامة السقا". ضاع قسم كبير خلال رحلة التهجير لكن قسما لا بأس به من الكتب قد وصل، ورغم ما يراه البعض من رفاهية في موضوع الكتاب والقراءة في زمن الحرب والحرص على الوجود، يرى سوريون آخرون أن حياة يعمها الجهل تساوي الموت.

هل ينجح معتقلو سجن حماة من جديد بتحقيق مطالبهم؟

"أريد ابني".. "نريد أولادنا"

عبارات كُتبت على لافتات حملتها مجموعة نساء سوريات في وقفة لهن منتصف تشرين الثاني الجاري، تلبيةً لصرخات ومناشدات أزواجهن وأبنائهن القابعين في ظلمات الزنازين منذ سنوات، وجلّ ذنبهم أنهم شاركوا في المظاهرات السلمية في بداية الثورة السورية عام ٢٠١١.

بشار الخالد

من غرب مدينة حماة، ومن داخل سجنها المركزي، أطلق معتقلون سوريون مناشداتهم، ولأن المناشدات لا تُغني ولا تُسمن، تماماً كما كانت الوعود والاتفاقيات السابقة التي تلقوها، فقد بدأ المعتقلون في ١٢ من الشهر الجاري إضراباً مفتوحاً عن الطعام، علّ صوت معداتهم الخاوية يصل قبل أصوات حناجرهم المبحوحة من كثرة نداءات الاستغاثة التي يطلقونها بين حينٍ وآخر، ولا تجد لها آذاناً صاغية.

"نحن القابعون منذ سنوات في ظلمات الزنازين، شهيقنا تعب وزفيرنا تعب، من حقنا أن نعيش ويؤخذ موضوعنا على محمل الجد.. نناشد ضمائركم بالنظر لهذا الملف المُعلّق منذ سنوات.. نخاطب ضمائركم ونناشدكم الحد من عذاباتنا وتبديد معاناتنا".

زيارة محملة بحبال المشانق

بدأت القصة من زيارة، لم تكن أي زيارة، كما لم يكن زائراً عادياً لمعتقل في سجن، كان زائراً يحمل حبال المشانق معه لـ ١١ معتقلاً.

في الأسبوع الأول من تشرين الثاني الجاري، زار قاضي الفرد العسكري بحماة "فراس دنيا" سجن حماة المركزي، ومعه قوائم بأسماء عدد من المعتقلين، يجب ترحيلهم إلى سجن صيدنايا.

للوهلة الأولى يظن من يسمع الخبر بأنه إجراء روتينيّ لا أكثر، لكن هؤلاء القابعون في ظلمات الزنازين منذ سنوات، كما أحبّوا أن يصفوا أنفسهم، أصبحوا يمتلكون من الخبرة ما يكفي ليدركوا تماماً أن هذا الإجراء إنما يعني تطبيق حكم الإعدام بحق الأسماء الواردة في قوائم ذلك الزائر.

الزيارة المحمّلة بحبال المشانق دفعت المعتقلين في سجن حماة للإعلان عن إضراب مفتوح عن الطعام، احتجاجاً على أحكام الإعدام والمؤبد التي صدرت بحق عددٍ منهم في الأول من الشهر الجاري، وأملاً بالوصول لقرار إلغاء هذه الأحكام.

وجاء الإعلان عن الإضراب عبر بيان مصوّر بثّه المعتقلون من داخل السجن في ١٢ تشرين الثاني الحالي، دعوا فيه أهالي حماة إلى التجمع أمام السجن للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، كما طالبوا السوريين في كل مكان لمؤازرتهم، ورفعوا لافتاتٍ كتب عليها "إخواننا السوريين في الداخل والخارج.. كونوا صوتنا".

وفي اليوم التالي قام النظام بقطع الكهرباء والاتصالات عن السجن، مما أدى لتدهور الحالة الصحية لبعض المعتقلين، لا سيما في ظل انخفاض درجات الحرارة في هذا الوقت من العام، بحسب مصادر حقوقية وإعلامية.

وكان قائد شرطة حماة قد التقى بالمعتقلين في السجن المركزي بعد بدء الإضراب، واستلم مطالبهم التي كان في مقدمتها إعادة النظر بالأحكام الصادرة بحقهم وتسوية أوضاعهم، ليقوم وفد مما يسمى "لجنة المصالحة الوطنية" التابعة للنظام بزيارة السجن ومن ثم رفع مطالب المعتقلين لقاعدة حميميم الروسية.

عضو هيئة الحقوقيين السوريين المحامي "عبد الناصر حوشان" أفاد بأن لجنة المصالحة الوطنية قامت برفع مطالب سجن حماة إلى قاعدة حميميم، والتي بدورها أوصلتها إلى وزارة الخارجية الروسية، وأن المعتقلين يواصلون إضرابهم إلى أن يتم تلبية مطالبهم، بحسب ما نقله "راديو الكل".

الموت البطيء في سجن حماة

يعد الإضراب الذي وصل إلى العصيان، والذي أطلق عليه اسم "الموت البطيء"، ونفذه معتقلو سجن حماة المركزي في ٢ أيار عام ٢٠١٦، واستمر قرابة الشهر، بهدف منع ترحيل ٥ معتقلين إلى سجن صيدنايا لتنفيذ حكم الإعدام الذي صدر بحقهم، الأول من نوعه في تاريخ سجن حماة منذ بداية الثورة السورية.

ونجح فيه المعتقلون آنذاك بانتزاع أكبر صفقة بين النظام والمعتقلين أنفسهم، وعلى الرغم من عدم التزام النظام ببنود الاتفاق الذي تم التوصل إليه -كما هي عادته-، إلا أن نحو ٢٠٠ معتقل أُخلي سبيلهم بنتيجته، بالإضافة إلى إسقاط الأحكام والتهم التي وجهتها "محكمة الإرهاب" لبعض المعتقلين، وذلك بعد أن تمكن المعتقلون من السيطرة على كامل السجن، وأسر ضابط وعدد من عناصر الأمن في السجن، على الرغم من قطع النظام للمياه والكهرباء والطعام عن السجن، ومحاولة اقتحامه عدة مرات.

وكان الاتفاق الذي توصل إليه المعتقلون مع النظام ينص على عدم ترحيل أي معتقل من سجن حماة إلى سجن صيدنايا، وإسقاط الأحكام والتهم الموجهة إليهم، وإخلاء سبيل جميع المتهمين بالإرهاب على عدة دفعات، وإعادة تزويد السجن بالطعام والمياه والكهرباء، إلى جانب السماح للمعتقلين بالاحتفاظ بهواتفهم المحمولة، غير أن البنود لم تُطبق بشكل كامل.

وفي ٢٤ حزيران عام ٢٠١٧، اعتصم معتقلو سجن حماة المركزي أمام أحد أبواب السجن، مطالبين محافظ حماة وقائد شرطتها بالإضافة لمدير السجن بالوفاء بالوعود والاتفاقيات السابقة بينهم وبين المعتقلين، إلا أن الاعتصام ما لبث أن تحوّل إلى مظاهرات واستعصاء داخل السجن، وذلك على خلفية قيام عناصر من الشرطة بضرب المساجين بغازات مسيلة للدموع خلال اعتصامهم، ما أسفر عن حالات اختناق في صفوف المعتقلين، ولكنه مع ذلك لم يصل للنجاح الذي حققه إضراب الموت البطيء.

وفي الرابع من نيسان من العام الحالي ٢٠١٨، أفرج النظام عن ٤٠ معتقلاً من سجن حماة المركزي، عبر صفقة عقدها مع فصائل المعارضة.

الأحكام والمحاكم

تصدر الأحكام بحق المعتقلين في سجون النظام عن محكمة مكافحة الإرهاب أو المحكمة الميدانية العسكرية وتكون أحكاماً غيابيةً في معظم الأحيان، وقد يحضر المعتقلون جلسة من جلسات المحاكمة، ولكن دون أن يمتلكوا حق الدفاع عن أنفسهم أو توكيل محام، ودون أن يعرفوا بمواعيدها ولا بنتائجها إلا عند شروع النظام بإجراءات تطبيق الأحكام الصادرة بحقهم.

المعتقل "عاطف الحمويّ" قال في وقت سابق: "لا أحد منا يعرف بموعد محاكمته حتى يأتي السجان ويذيع مجموعةً من أسماء الأشخاص الذين سيتمّ اقتيادهم إلى محاكماتهم في صباح اليوم التالي، الذي غالباً ما يكون يوم الأحد، إن استطاع المعتقل توكيل محام للدفاع عنه يمنعون المحامي من الكلام، ويكون حضوره شكلياً فقط، فأطول محاكمةٍ قد تستمرّ دقيقةً واحدة، المتوسّط هو ثلاثين ثانية، يتمّ الحكم على حوالي ٢٠٠ معتقلٍ في حوالي ساعةٍ واحدةٍ فقط"، وفقاً لما نقلته عنه مجلة "صوّر".

في حين قال أحد المعتقلين: "علمت بأن قضيتي لدى محكمة الميدان، منذ نقلي لسجن صيدنايا، ثم نقلت لسجن حماة ولم أحضر أية محاكمة منذ نقلي في العام ٢٠١٥، وفقاً لما نقلته "العربية نت".

قد لا يحتاج النظام ذريعةً لتقديم معتقل للمحاكمة، تماماً كما لم يكن بحاجة سابقاً لتهمة أو حجة تبرر الاعتقال أصلاً، لكنه لا يتورع عن ابتكار الحجج الواهية، والتهم الباطلة، وفي أحسن الأحوال يكون المعتقل قد شارك المظاهرات السلمية، أو في الأعمال الإنسانية أو الإعلامية منها، وبعد سيطرته مؤخراً بدعم روسيّ لا محدود على معظم مناطق سوريا عبر ما يسمى "المصالحات"، أصبح حملة السلاح ضده من بين المعتقلين حديثاً.

ولكن أياً كانت التهمة، وصحيحةً كانت أم لا، فإن فروعه الأمنية كانت على مدى السنوات الثمان الماضية، كفيلةً بانتزاع اعتراف المعتقل تحت وطأة التعذيب تارةً، وأخرى عبر السياسة والغدر والخداع، لتكون تهمتهم التي تصدر محاكمه أحكامها بحقهم، وذريعته أمام العالم لمحاكمة المعتقلين والإبقاء عليهم في سجونه لسنوات.

"مخلص الأحمد" معتقل سابق في سجن حماة المركزي قال لزيتون: "اعترفت والدماء تسيل على جسدي، ليسألني الضابط حينها في مفارقة مضحكة إن كان اعترافي نتيجة التعذيب أم أنه اعتراف حقيقي".

وأضاف "الأحمد": "في ٢٢ تشرين الأول عام ٢٠١٥، تم تحويلي لسجن حماة المدني وتم وصفي على أنني إرهابي، نقلت بعد سبعة شهور لمحكمة الإرهاب في دمشق، وبقيت في سجن عدرا لمدة ٦٠ يوماً، أعادوني بعدها لسجن حماة المركزي، حيث نفذنا فيه عدة إضرابات واستعصاءات لتحسين ظروفنا المعيشية أو لإخراجنا من السجن، وكان من أنجحها ما قمنا به في الثاني من شهر أيار لعام ٢٠١٧".

تقع محكمة الميدان العسكرية في سجن صيدنايا الذائع الصيت، وهي محكمة موجودة في سوريا منذ عام ١٩٦٧، على عكس محكمة الإرهاب التي أوجدت في سوريا بناءً على المرسوم رقم ٢٢ لعام ٢٠١٢ والصادر في تموز، أي بعد مرور أقل من عام ونصف على بدء الثورة السورية.

سجن حماة.. موقع وخصوصية

لم يكن لموقع سجن حماة المركزي على ضفة نهر العاصي أي دور في استثنائه واختلاف طبيعة وظروف الاعتقال فيه عن بقية سجون النظام المعروفة منها والسرية. إذ يمكن للمعتقلين في السجن الواقع غرب مدينة حماة، بالقرب من حي القصور والمدينة الصناعية، والمطل من جهة الشمال على نهر العاصي، أن يتواصلوا مع ذويهم، وهي ربما في عُرف السجون والثورة السورية، الميّزة الأغلى لدى السوريين، فهناك مئات آلاف العائلات التي تتمنى فقط أن تتأكد أن أبناءها ما يزالون على قيد الحياة، أو على الأقل أن تعرف مصيرهم.

ضمن مساحة كيلومتر مربع تقريباً، يقبع قرابة الألف معتقل، نصفهم من المعتقلين السياسيين الذين تم اعتقالهم على خلفية مشاركتهم في الثورة، يحتجزون في أجنحة تحمل اسم الإرهاب، بالإضافة إلى جناح يدعى بـ "الجناح الاحترازيّ"، ويتم فصلهم عن النصف الآخر وهم معتقلي الجنايات والجرائم المدنية.

وعلى عكس بقية سجون النظام لا يحوي سجن حماة أي سيدة معتقلة، ويعود ذلك في الغالب إلى طبيعة السجن المدنية منذ فترة ما قبل الثورة، حيث كان هناك سجون خاصة للنساء قبل الثورة، إلا أن السجن كان يحتوي على أطفال بعضهم ممن تم اعتقالهم قبل أن يُتمّوا الثامنة عشرة من عمرهم وصدرت أحكام الإعدام بحقهم مؤخراً، وفقاً لمصادر حقوقية وإعلامية.

أحد الضباط المنشقين عن

النظام، والعاملين سابقاً في سجونه المركزية، عزى سبب خصوصية سجن حماة إلى كونه سجن مدني ومفتوح للزيارات، ولا يمكن إخفاء ما يحصل فيه، على غرار ما يحصل في سجن صيدنايا الذي يعتبر بمثابة الثقب الأسود، بحسب ما نقلته "الجزيرة نت".

بينما يضيف محللون سبباً آخر وهو كون معظم معتقليه السياسيين هم ممن تم اعتقالهم منذ عام ٢٠١١، وعلى خلفية مشاركتهم في المظاهرات السلمية.

ولكن كونه سجن مدني ومفتوح للزيارات وعلى ضفة نهر العاصي، لا يعني أنه فندق، ولا يلغي أنه في النهاية سجن ويتبع لأقسى وأكبر مجرمي الحرب في العالم في الوقت الحاضر، بحسب تعبير صرّح المبعوث الأمريكي الخاص لشؤون سوريا "جيمس جيفري" لوكالة "نوفوستي" الروسية.
ووفقاً لما نقلته مصادر إعلامية فإن أهالي المعتقلين يتعرضون للابتزاز المالي والمضايقات، إلى حدٍّ يجعل المعتقلين أنفسهم يتمنون عدم زيارة عائلاتهم لهم إلا زيارات محدودة جداً، فضلاً عن الظروف الصحية والإنسانية السيئة التي يعيشها المعتقلون في السجن.

كما لا يمكن تجاهل المجزرة التي وقعت في سجن حماة المركزي بتاريخ ١ آب عام ٢٠١١، وراح ضحيتها أكثر من ٧٠ شهيداً وعدد غير معلوم من الإصابات، بحسب "ويكيبيديا".
وعلى الرغم مما سبق فإن سجن حماة المركزي يعد سجناً سياحياً إذا ما قورن ببقية السجون السورية كسجن صيدنايا "المسلخ البشري"، وسجن تدمر سابقاً، وسجون المخابرات الجوية والعسكرية وغيرها من السجون السورية التي شهدت مقتل عشرات آلاف المعتقلين السوريين على يد قوات النظام منذ اندلاع الثورة السورية في آذار عام ٢٠١١.

يهدف التجمع إلى العمل على بناء جسم ثوري ينبثق عنه مؤسسات مدنية حقيقية متكاملة، تملأ الفراغ الذي تسببت به حملات النظام من تدمير لجميع المؤسسات المدنية، بالإضافة إلى العمل على بث الوعي الفكري والاجتماعي والحقوقي والإنساني، حتى يحقق الانتقال من دولة الاستبداد والفساد والظلم والطغيان والإجرام إلى بناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية، دولة القانون والعدالة والحقوق والحريات المدنية والسياسية.. بهذا يقدم أحد مؤسسي التجمع الشعبي للحراك الثوري "زياد أمنة".

في حين لم يكن لدى التجمع هيكلية تنظيمية مؤسساتية في الفترة الأولى لتشكيله، فتم الاعتماد في العمل والتنظيم والانتساب على المجموعة التأسيسية الأولى فقط، بحسب "محمد كامل منديل" أحد مؤسسي التجمع الشعبي للحراك الثوري، والذي أضاف: "كنا نؤجل هذه الأمور للمستقبل، ونخطط لترتيبها لاحقاً".

وكان واضحاً تأثير وفاة مؤسس التجمع "عبد الناصر ملص" على عمل التجمع ودخوله في حالة من الثبات رغم كل المحاولات الجادة من قبل أعضائه لإحيائه.

ببجي ..لعبة قتالية تجتاح البلاد العربية

ربيع سلام

أكو عرب في الطيارة، من أكثر العبارات المتداولة بين الشباب العرب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتعود هذه العبارة إلى لعبة ببجي القتالية التي اشتهرت مؤخراً، واستطاعت سلب لب شريحة كبيرة من المستخدمين، وصارت حديثاً شاغلاً للإناث قبل الذكور.

ببجي PUBG اختصار لـPlayer Unknown's Battlegrounds لاعبون مجهولون في ساحة المعركة"، من انتاج الشركة الكورية التابعة لمايكروسوفت، لعبة متاحة على الأجهزة المحمولة، تجاوزت ١٠٠ مليون تحميل خلال ٤ أشهر منذ طرحها في آذار ٢٠١٧.

تسمح اللعبة لمجموعة من اللاعبين باللعب بشكل فردي أو جماعي، محورها القتال بين بعضهم ضمن مواجهة بين الجميع، وهي من الألعاب التي تعتمد على الأتصال بالأنترنت، وتمتاز بأنها تجمع بين أكثر من لاعب في آن واحد وقد يصل عدد المشتركين في اللعبة الواحدة إلى ١٠٠ لاعب، ويمكن للاعبين الأختيار بين السيرفرات التي يكون فيها اللاعب بمفرده، أو السيرفرات التي تتيح له المشاركة مع فرق صغيرة، وهي اليوم من أشهر الألعاب القتالية، وأكثرها اهتماماً بالواقعية من ناحية الأسلحة وطرق التنقل، وحصلت اللعبة منذ فترة قصيرة على إصدار للهواتف المحمولة باسم لعبة باتل جراوند "PUBG Mobile" ونالت قدراً كبيراً من الشهرة لا يقل عن اللعبة الأصلية.

إصدار الهاتف المحمول PUBG Mobile من اللعبة لم يكن مخيباً للآمال على الإطلاق، فبعد مجموعة ضخمة من الألعاب التي اقتبست نفس الفكرة وقدمت على الهواتف المحمولة، جائت لعبة PUBG ببرمجة جيدة وسيرفرات ذات تحمل عالٍ وتفاصيل تشابه تلك الخاصة بالحواسيب، مما جعلها تتفوق بسرعة على كل الألعاب الأخرى.

فكرة اللعبة
تبدأ اللعبة بمئة لاعب يقفزون من طائرة حربية تحلق فوق جزيرة كبيرة، ويبدؤون بعدها بتنفيذ المهمات وجمع الأسلحة والإضافات الأخرى الموجودة على هذه الجزيرة، لضمان البقاء حتى نهاية الجولة.

كل اللاعبون المئة سيكونون صيادين وقتلة أو ضحايا في اللعبة، ويجب على اللاعب أن يكون الشخص الأخير الحي على الجزيرة.

ويمكن للمشترك أن يختار اللعب بمفرده ضد ٩٩ خصماً، أو أن يكون شريكاً لشخص أو اثنين أو ثلاثة، ويتم التواصل بينهم عبر تقنية الدردشة الصوتية التي تتيحها اللعبة بين أعضاء الفريق الواحد.

المحفز على القتال والأمر الذي سيجعل اللاعبين يتحركون باستمرار بدلاً من الجلوس وانتظار نهاية القتال هو أن منطقة اللعب تتقلص بشكل مستمر بفعل ما يسمى بالـ "الزون"، وهي منطقة يتوجب على جميع اللاعبين التواجد داخلها وتتقلص هذه المنطقة بشكل تدريجي حتى تحصر جميع اللاعبين في منطقة واحدة، ومن يبقى خارج الزون فان طاقته ستبدأ بالنقصان بشكل تدريجي حتى موته، في حين يبقى من هم داخل هذه المنطقة في المعركة إلى أن يخرج أحدهم منتصراً.

وفي الأسبوع الماضي حصلت لعبة ببجي على العديد من التحميلات وزيادة كبيرة في عدد اللاعبين المنضمين حديثاً، وقد عبر اللاعبون عن استيائهم الشديد عندما توقفت اللعبة لإجراء التعديلات والتحديثات، وهذا ما يجعل من اللعبة أقرب إلى الإدمان.

أضرار نفسية
كشفت تقارير حديثة أن للعبة ببجي أضراراً نفسية كبيرة، حيث تزيد من حالات الانطوائية والانعزالية، إضافة إلى تربية سلوك العنف لدى مستخدميها.

كما تؤثر بشكل سلبي على مستخدميها من الشباب أسرياً واجتماعياً، ما يجعلهم يعيشون في مجتمع وهمي، دون أن يتفاعلوا مع عائلاتهم وأصدقائهم، وهو ما قد يصيبهم بنوع من الإدمان دون أن يدركوا ذلك.

وحذّرت التقارير من غياب رقابة الأسرة على الأطفال الذين يمارسون اللعبة، إذ تجعلهم يميلون إلى العنف، وتقوي رغبتهم في الانعزال عن العالم الخارجي والعيش داخل مجتمع وهمي لا يمت للواقع بصلة.

وهذه اللعبة تسبب توتراً عصبياً للأطفال مما يشكل ضغطاً على جهازهم العصبي، وتؤدي بعد فترة إلى حركات لا إرادية لليدين والرجلين والرأس فيصبح من الصعب التحكم بلغة الجسد، كما أنه يتبع ذلك آثار سلبية أخرى بعد فترة.

وحذرت منظمة الصحة العالمية في عدة دراسات، من أن إدمان الألعاب الإلكترونية يمكن تصنيفه كمرض مزمن حالياً، يؤدي إلى اضطراب الصحة العقلية لعدد كبير من مستخدميها.

وفي استطلاع للرأي نشرته صحيفة الديلي ميل البريطانية، أبدى بعض اللاعبين استيائهم من هذه اللعبة كونها تسبب الادمان وضياع الوقت، فيما عبر البعض الآخر عن سعادتهم بهذه اللعبة كونها تعطيهم نوعاً من الاثارة والحماس.

تأثيرها على المجتمع

تحدثت تقارير صحفية في بريطانيا والصين والعراق عن تأثير ألعاب الهواتف المحمولة، وخاصة لعبة التي وصلت ببعض الأزواج إلى المحاكم طلباً للطلاق.

ففي مدينة إدلب انفصلت فتاة عن خطيبها بسبب انشغاله عنها بلعبة ببجي وممارسة اللعبة مع فتاة أخرى.

وفي العراق أفادت قناة محلية أن حالة طلاق سجلت في محاكم بغداد كان سببها هذه اللعبة، وذلك على أثر انشغال الزوج فيها وتجاهله مهامه الأسرية، ما دفع الزوجة إلى طلب الطلاق.

وفي العراق أيضاً، قررت لجنة الفتوى في محافظة السليمانية، الشهر الماضي، تحريم اللعبة، بعد عدة شكاوى رفعت بسببها.

وعللت اللجنة قرارها بأنه "في حال مارس موظف اللعبة وأثرت سلباً على خدمات المواطنين ستكون حراماً، إذ ما مارسها طالب وأثرت على دراسته سيكون ذلك حراماً أيضاً"، بحسب موقع "شفق نيوز" العراقي.

كما حث المرجع الديني العراقي قاسم الطائي، العراقيين على ترك لعبة ببجي معتبرا أن اللعبة تساعد على تفكك العلاقات الاجتماعية.

وقال الطائي: إن اللعبة تسهم في إلهاء الناس عن الصلاة، مبينا أنها تساعد على تفكك العلاقات الاجتماعية القريبة وصلات الرحم لأن روح الغلبة هي الطاغية عند اللاعب فلا يكترث برحم أو صديق أو قريب.

وفي فلسطين وبعد حالة من الجنون والاهتمام باللعبة، تناقلت وسائل التواصل الإجتماعي قراراً سمحت بموجبه إحدى الشركات الفلسطينية للموظفين بممارسة اللعبة لمدة نصف ساعة يومياً أثناء عملهم.

وتناقلت مواقع التواصل الإجتماعي معلومات عن حدوث حالة طلاق بين رجل وزوجته بسبب لعبة ببجي، حيث كان الرجل يلعب مع زوجته وفتاة أخرى وحصل أن قام الرجل بتقديم الدعم للغريبة تاركاً زوجته تحتضر حتى ماتت، وعند سماع والد الزوجة بالقصة اتصل بالزوج وأخبره بأن لديهم فصل عشائري مع أهل الزوج بسبب تقديمه المساعدة لفتاة غريبة تاركاً زوجته، وبعد الاجتماع بين الطرفين توصلوا إلى الطلاق ودفع مبلغ مالي لأهل الزوجة، ثم قامت الزوجة بفضح الفتاة الغريبة، وعند معرفة أهلها بالقصة حصل فصل عشائري آخر بينهم وبين أهل الزوج وترتب عليه دفع غرامة مالية أخرى.

فيما تناقلت مواقع التواصل الإجتماعي صورة لعروسين من الهند، تزوجا بعد أن تعرفا إلى بعضهما عن طريق لعبة ببجي.

وافادت تقارير عالمية بمقتل شخص إثر شجار حصل بين صديقين بسبب لعبة ببجي، بحجة أن أحدهما لم يسعف صديقه في اللعبة ما أدى الى خسارته، ما دفعه لإشهار السلاح في وجه صديقه وإطلاق النار عليه بشكل مباشر.

ووفق إحصائيات رسمية صدرت عن منظمات حقوقية، فإن أكثر من ٤٠ ألف حالة طلاق سجلت حول العالم، نتيجة خلافات بسبب الألعاب الإلكترونية وإدمانها.

يذكر أن مجمل عدد مستخدمي لعبة ببجي حاليا يتعدى حاجز الـ ٤٠٠ مليون مستخدم، وأصبحت اللعبة في مقدمة التطبيقات التي يجري تحميلها في أكثر من ١٠٠ دولة حول العالم.

حين أصبحت مستبدا وقصصت شعر الصغير

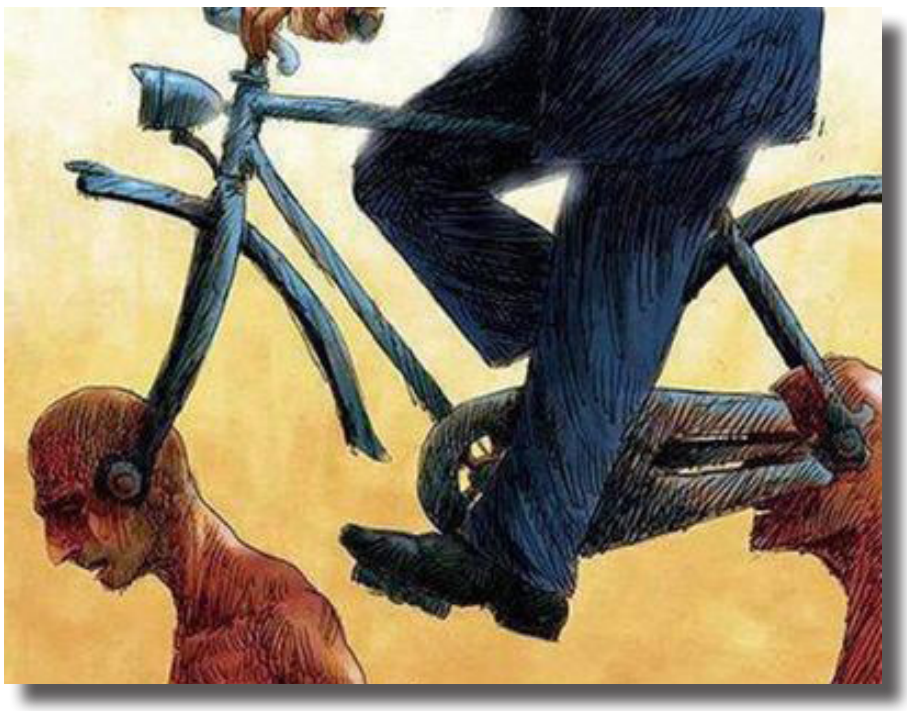

تذكرت الكواكبي وأنا أمد إصبع سبابتي أمام الصغير محذرا له من التمنع عن حلاقة شعره: "سأقص شعرك الآن طوعا أو قسرا" ليستسلم لقدره والدموع تملأ عينيه مجيباً بانكسار وذل "OK".

كنت أفكر وأنا أشوه وجه البريء بما تخلفه مكنة الحلاقة من فجوات بشعره الناعم، بأثر كلماتي في نفسه، وأي طفل سيكبر إن حطمه الخوف والتعسف الذي أمارسه عليه؟ وهل يمكن أن تزول آثار الخوف بسهولة زرعها في النفس؟

غادة باكير

قبل مائة عام كتب عبد الرحمن الكواكبي طبائع الاستبداد، بعد أن كرس حياته لفضح آثاره على الأمة، معللاً تدهور وانحطاط العرب والشرق عموماً بما ابتليت به من داء الاستبداد، ومؤكدا على أن جذور الاستبداد السياسي هو نتيجة لاستبداد الدين، رغم براءة الدين من الاستبداد في أساسياته كما يقول.

وبرغم السنين الطويلة التي مرت على الكتاب إلا أن القارئ له اليوم يجد قوة ارتباطه وحيويته بالحالة العربية بشكل يوحي وكأنه كتب البارحة، ذلك لما للاستبداد من طباع لا تتغير، وأعراض لا تتبدل.

في فيلم أمريكي بعنوان "التجربة" The Experiment مستوحى من اختبار قام به باحثون في عام ١٩٧١ عن محاكاة لواقع السجون كان الهدف منه معرفة سلوكيات السجناء، شارك ٢٤ متطوعا في الاختبار الذي كشف بشكل سريع مدى استعداد الإنسان للتعسف حين يمكنه ذلك، كما كشف قدرته على ممارسة السادية دون أسباب، ما طرح تساؤلات محقة حول أصالة الخير في النفس البشرية وهوية فطرتها.

قسّم مشرفو التجربة المتطوعين بطريقة عشوائية إلى سجناء وسجانين، ولم يقدموا للسجانين سوى كلمة "عقوبة مناسبة" كقانون يضبط سلوكهم اتجاه السجناء، خرجت التجربة عن نطاق السيطرة منذ اليوم الثاني، ولم يعد ممكنا الاستمرار فيها بعد اليوم السادس، بعدما كان مقررا لها أن تستمر ١٤ يوما، وذلك بسبب انزلاقها إلى مستويات من العنف والسادية لم تكن متوقعة.

ورغم تفاوت سلوك السجانين فيما بينهم إلا أنهم جميعا تقمصوا أدوارهم بل واستمتعوا بعملهم إلى درجة إنزعاج بعضهم حين تم انهاء التجربة بشكل مبكر، وتراوح العنف ما بين التعذيب والضرب والتحرش الجنسي والعزل الانفرادي والإذلال الشديد.

ويعتقد البعض أن دائرة الاستبداد لا تنتهي، وأن المستبد بهم سينتظرون دورهم لممارسة استبدادهم على أخرين أقل حظا منهم، ويكتمل نظام المجتمع بذلك ما بين مستبدين صغار يخضعون لمستبدين أكبر منهم والذين بدورهم يخضعون لمستبدين أكبر، لينتج في نهاية المطاف مجتمعا مريضا ومزيفا يشكله أفرادا لا يجدون في العبودية والإذلال أمرا شائنا، ومن المرجح والحالة هذه أن يكبر الصغير كطاغية على اخوته الصغار مستقبلا.

هو متلازمة التخلف، وسمة الجهل، في كل واحد منا هناك بذرة استبداد تنتظر النمو، تتغذى من الخوف وتستمد استمرارها من جبن المواجهة، لتنعكس بصور مختلفة، أباء ظلمة، أزواج متعسفين، أخوة متجبرين، في شرق صار مرتعا لتوالد الاستبداد.

يزخم تاريخنا العربي والاسلامي بوفرة هائلة من قصص الاستبداد تسرد في سياق المجد الذي وصل إليه البعض بقدرته على الظلم دون حسيب، ليصبح مثلا ونموذجا لغيره.

يحدثنا الموروث في قصة الملك "النعمان بن منذر" عن اختيار الملك ليومين له في العام، احدهما للنعم يغدق فيه على أول من يصادفه، والثاني يوم بؤس يسفك فيه دم أول منحوس يلاقيه، يومي البؤس والنعيم لدى النعمان يختصران قدرة الحاكم الفرد التي تتساوى مع قدرة الخالق هنا، ولعل الكثير منهم في يومنا مازال يحاول ارتداء لبوس الألوهية بشكل أو بآخر.

مزاجية القتل لدى النعمان تعطي للحكم الهيبة والخوف وتمنع المعارضين من المجازفة في نزع الملك منه أو حتى محاولة اصلاحه، فكان بكل بساطة يقتل أي انسان يلتقيه في يوم بؤسه لا لشيء سوى لأنه يوم شؤمه، هذا هو الموروث السائد والمحتذى، ولنا في المثل القائل "عاجز من لا يستبد" نهاية الحكمة العربية.

يعيش العرب -بشكل خاص- في دولهم اليوم تحت سلطات قديمة مهترئة دأبت على قمع شعوبها واخضاعها بالقوة، كل ذلك كي يضمن الحاكم باستبداده استمرار حكمه، فإن ثاروا عليه قتلهم، وإن رضخوا له ظل يحكمهم حتى ولو على كرسي مدولب، أو مسلما إياهم إلى مستبد آخر من نسله أو من طغمته.

ويعتمد الاستبداد في وجوده على مبدأ القوة العارية وإمكانية البطش بالآخر، وهي وسيلته الوحيدة في الاقناع، فبالترهيب والترعيب والقمع يتسنى للطاغية أن يهنأ في سلطانه، ولذلك كان من الطبيعي أن يأتي جل حكامنا عن طريق الانقلابات العسكرية، وهو ما خلق الشعور لديهم بحقهم في السلطة، بالمقابل يسعى السياسيون الطامحون للسيطرة على مفاصل الجيش والقوة، وهي متلازمة أبدية في شرقنا العربي ما بين الغاية في استمرار السلطة المطلقة والوسيلة وهي القوة واحتكار العنف.

ولأن التجهيل والتفقير هما أدوات المستبد، يصبح من المستحيل الخلاص من هذا الاستبداد إلا بخرق هاتين الدائرتين، وهو ما يُلزم كما يقول الكواكبي الشعوب بمسؤولية طويلة وصعبة في الخلاص من مستبديها، ويرى أن الاستبداد لا يعالج بالثورات العنيفة واستعمال القوة، لما يمكن أن يجلبه ذلك العنف من مستبدين آخرين، بل ينصح باتباع التدرج في خلق البديل الحقيقي مع ما يتطلبه ذلك من نشر الوعي الكافي وإذكاء شعو الظلم لدى الناس.

الثورة السورية التي وقعت في المحظور الذي حذر منه الكواكبي بتنامي الفكر الاستبدادي واستبدال مستبد بمستبدين آخرين ولا سيما بعد ظهور التيارات الإسلامية التي لا تعترف بالآخر ولا تقبل رأيا مخالفا بل وتكفره وتتحلل دمه، هو ما أوقع السوريين في ورطة الخروج من حفرة الاستبداد ودائرته العنيفة الذي لا يتيح بإنتاج البديل.

وكما استبد النظام السوري فقد استبد بنا قادة الفصائل المعارضة بعد أن أنستها السلطة أسباب الثورة، استبداد ينتج استبداد آخر، ولن تلوح نهاية قريبة لهذه الدائرة إن لم ننتهه إلى ما نمارسه في حق بعضنا من ميل للظلم واستكانة للظالم، وإن لم نشيع معنى العدالة والانصاف ونقنع بأن لغيرنا الحق في القرار كما لنا.

"نحن قوم متجبرون" ربما كانت أصدق العبارات التي عرف بها العرب أنفسهم، فلقد استبد بنا حكامنا وولاة أمرنا وموظفو الدولة ورجال الدين وضباط الجيش والأمن وأصحاب رؤوس الأموال، كل مارس استبداده بما تيسر، لنستفيق اليوم على واقع لم نعد ندري فيه موقعنا في منظومة الاستبداد.

من المؤكد أن الخيار الأفضل كان أن أترك الطفل دون حلاقة، كان سيبقى جميلا، وسيكبر أجمل، ومن المؤكد أنني كنت سأكون أباً أفضل.

اللغة وتطلعات الحياة الجديدة

بشير الأحمد

اللغة ليست مجرد كلمات ورموز وأصوات، بل هي أكثر من وسيلة تواصل، هي التجسيد الوحيد للأفكار، وبدونها ينعدم المعنى من وجود البشرية، كما أنها النسغ الممتد من بدايات ما خط الإنسان على جدران الكهوف إلى يومنا هذا، ورغم أنها مجموعة من الأشكال الصورية التي تقابلها أصوات تم الاتفاق على دلالاتها جمعياً، إلا أنها تمتلك القدرة على توصيف كل ما يمكن أن يدور في النفس البشرية من أفكار ومشاعر مع اختلاف إمكانية الأفراد في التعبير عنها بحسب إدراكهم وتحصيلهم.

تعتبر اللغة من أشد الموروثات قوة وتداخلا بثقافة المجتمعات وتطورها وعراقتها، كما تعبر عن ميولها وهويتها، وتعكس بشكل أساسي عن طريق تشكيل تراكيبها وألفاظها آلية تفكير تلك المجتمعات وفلسفتها، ما يجعل من اللغة صورة حقيقية عن المتحدثين بها ومراحل تطورهم عبر التاريخ.

انتقاء الأشخاص لمفرداتهم وتفضيلهم لصيغ بدلا من أخرى هو ما يسمح بتقدير اختلاف مستوياتهم، ويدل على ما يضمر من اهتمام وفكر ونشاط ذهني.

ولا تتوقف اللغات باستمرارها عن التطور، يدفع ببعضها إلى الانتشار فيما يتهدد بعضها الزوال والانقراض، ويعود مرد ذلك إلى مرونة المجتمعات ذاتها وقدرتها على التطور والتبلور أو الذوبان والاندماج في مجتمعات ولغات أخرى، وبنظرة سريعة إلى اللغة العربية في العصر الجاهلي ندرك حجم الاختلاف الكبير الذي طرأ على اللغة العربية، ولا يمكن للعربي المعاصر من غير المختصين باللغة اليوم أن يعي معاني المعلقات مثلا دون هامش كبير لشرح المفردات العربية، والتي لم تعد تستخدم في لغتنا الحالية مطلقا، ليحل محلها مفردات أقل جزالة وأكثر سهولة وليونة، وهو دليل على حيوية العربية وقدرتها على التأقلم مع تطور الحياة، ويوصلنا ذلك إلى دور اللهجات المحكية والعامية ووظيفتها في اختصارات اللغة وما تضفيه من ألوان تعطي خصوصية المجتمعات وتشير إلى ما تفرضه الوحدة الجغرافية من تفردات صوتية حتى لو قطعتها الحدود السياسية.

ومن هنا يواجه المتعلمون لأي لغة صعوبة الغوص في مروحة واسعة من المعلومات المرتبطة بخلفيات اللغة وتبريرات شذوذها وتفردها، فاللغة تعني الثقافة والتاريخ والعلوم والسياسة وكيفية رؤية المجتمع لذاته وللآخرين وإلى ما هنالك من جوانب المجتمع، ما يسمح بإطلاق توصيفات موضوعية على اللغات التي بلغ عددها بحسب ويكيبيديا ما بين الخمسة آلاف لغة إلى السبعة آلاف لغة، يكاد قسم كبير منها أن يزول من الوجود.

هي إحدى أكبر التحديات التي تعترض السوريين اللاجئين في دول اللجوء، خصوصا أنهم وصلوا إلى دول لم يكن من المتوقع وصولهم إليها، وقد فرض عليهم قانونياً أو تحت ضغط الحياة أن يتقنوا لغتها ولو في الحدود الدنيا بوقت قصير، وتزداد تلك الصعوبات للذين تجاوزوا سن الأربعين، مع ما يفرضه عليهم هذا السن من مسؤوليات اجتماعية واقتصادية وعاطفية.

ولعل أفضل تشبيه لعملية تعلم اللغة هي هدم جدار، يحتاج إلى الكثير من الصدمات والمراحل، تساعد كل ضربة جديدة معتمدة على ما سبقها في زعزعته والاقتراب من انهياره، وبقدر ما يهتز ذلك الجدار بقدر ما تتعزز ثقة المتعلم ورسوخ اللغة لديه، في سباق ما بين الأمل واليأس، وما بين الإصرار والاستسلام.

ويمكن لنا بشكل تقريبي أن نقسم مراحل التعلم إلى:

مرحلة الصدمة:

وهي أولى المراحل التي يقف فيها الغريب أمام اللغة الجديدة عاجزا أمام ظلام التواصل مع الآخرين وأمام فهم ما يقولون، وتصبح عملية بسيطة كشراء الخبز عملية مخيفة ومعقدة، قد تحتاج منه التهيؤ لها قبل اقتحام المخبز، ويكون المتعلم في هذه المرحلة غير قادر على تمييز المفردات بل كل ما يسمعه هي أصوات لأحرف ولموسيقا لنبرات هي كقطعات الليل في أذنيه.

مرحلة التلمس:

في هذه المرحلة يستطيع المتعلم أن يميز بعض المفردات التي اكتسبها خلال الوقت، لا سيما التعابير البسيطة، ومفاتيح الأسئلة وإلقاء التحية والتعرف على أوليات التقاليد والقوانين، مع زيادة في مساحة معارفه الاجتماعية يتلاشى جزء مهم من القلق والرهبة.

خطورة هذه المرحلة تكمن في أنها مرحلة اتخاذ القرار لدى المتعلم، فإما أن يشحذ همته في بذل المزيد من الجهد لاكتساب مفردات وقواعد جديدة تساعده على فك طلاسم ما يقال أمامه، أو يسقط في عجز اليائس معتبرا أنها فوق طاقته وأن لا جدوى من المحاولة، لكن كل من يركن إلى القرار الأخير سيعود لاحقا ليجد أنه مجبر على إعادة النظر به، إذ لا يمكن له الحياة في مجتمع لا يفقه فيه ما يقال، ويسقط في هذا المطب كبار السن بما امتلأت به عقولهم أو لضعف ذاكرتهم وقلة مرونتهم الفكرية.

الغزو والاقتحام:

أبرز مراحل التعليم وأرسخها وأكثرها محورية، فيها يكنز المتعلم كماً كبيراً من المفردات، التي تعزز وجوده وتساعده على التواصل البسيط، كما يدخل في هذه المرحلة بحالة من الهوس والاهتمام باللغة تشغل حتى أحلامه، ويحاول أن يفسر كل ما يراه من خلال اللغة، وهو ما يزيد من قدرته على الولوج أكثر في دهاليزها وحفظ بعض تفاصيلها.

يوصف الكثير من المتعلمين في هذه المرحلة بانفتاح شهيتهم على كل ما يمكنه تقوية لغتهم، من دورات في المعاهد أو الانترنت أو اقتناء الكتب ومتابعة القنوات التلفزيونية التي تتحدث اللغة الجديدة مع خدمة كتابة ما ينطق بأسفل الشاشة، إضافة إلى الاستعانة دائما بخدمة الترجمة المتوفرة في الهاتف المحمول، والاستماع إلى الأغاني والدروس الصوتية لكسب الوقت حتى أثناء ممارستهم لأي نشاط آخر.

تدفع هذه الثقة بالمتعلم إلى المغامرة في الدخول ببعض الحوارات والاعتماد على قدرته اللغوية المحدودة في تسيير بعض الأوراق الخاصة به، ورغم تعثر أغلب تلك المحاولات إلا أنها تكون ذات فائدة كبيرة له نتيجة الجهد الفكري الذي يبذله في التواصل مع الآخرين.

مرحلة الشك:

رغم ما يحوزه المتعلم في هذه المرحلة من صلابة المعلومات وقدرة على تركيب الجمل وفهم ما يقال أمامه، إلا أن أغلب من يصل إلى هذه المرحلة يعيش حالة من الشك في المعلومات غير مبررة، وكثير منهم يحتاجون العودة إلى المعلومات الأولى والقواعد الأساسية.

وتشكل الامتحانات اللغوية التي يخضعون لها رعبا حقيقيا يعكس مدى ضعف ثقتهم بمعلوماتهم، رغم ما يبدونه من مهارة وسرعة في استحضار المفردات وصوغ جمل ومواضيع تحتاج إلى مقدرات لغوية كبيرة. في هذه المرحلة ينهار قسم كبير من الجدار أمام المتعلم ولا يلبث أن يستعيد الثقة في مراحل متقدمة بعد أن يمر بعدد من التجارب الناجحة تعزز شخصيته اللغوية.

يساعد الكم الكبير من المعلومات لدى المتعلم في هذه المرحلة بقدرته على التوسع في اللغة وسبر أغوارها بدون مساعدة أو معلم، إذ يصبح قادرا على قراءة الكتب والصحف وامتلاك القراءة الآلية ومراجعة المعلومات المطلوبة باللغة الجديدة، كما لا يشكل عبئا على أصحاب اللغة الأصلاء بسبب سرعة تجاوبه وصورته كمتعلم ناجح لديهم، كما يحب أصحاب اللغة أن يسمعوا لغتهم منطوقة بشكل سليم، ولا يزعجهم وجود بعض الأخطاء البسيطة في التراكيب صادرة عن متعلم جديد.

يشعر كل من أجاد اللغة بأن بحجم المكتسبات التي امتلكها يستأهل ما مر به من ألم التحصيل، فيشجع بعدها كل المستجدين في التعلم على زيادة جهودهم والبدء بخطوات أوسع باتجاه إجادة اللغة.

مرحلة التمكن الأخيرة تتيح الولوج لثقافة المجتمع الجديد وعقد علاقات، كما تمكن من تحسين شروط حياته والعمل، إضافة إلى إمكانية تقديم المساعدة لأبناء لغته القديمة.

تعلم لغة جديدة هي قفزة هائلة على الصعيد الشخصي وهي بمثابة حياة جديدة تمنح لك، وبقليل من الإصرار والصبر ورغبة التعلم قد تعيش حياة ناجحة في وسط جديد، ربما تستطيع تحقيق أحلامك به، وربما يكون مناسبا لك أكثر من وسطك القديم، فلم لا ننطلق.

بعد عشرين عاما من نبوءة ميشيل سورا.. كتاب "سورية الدولة المتوحشة" يبصر النور

رائد رزوق

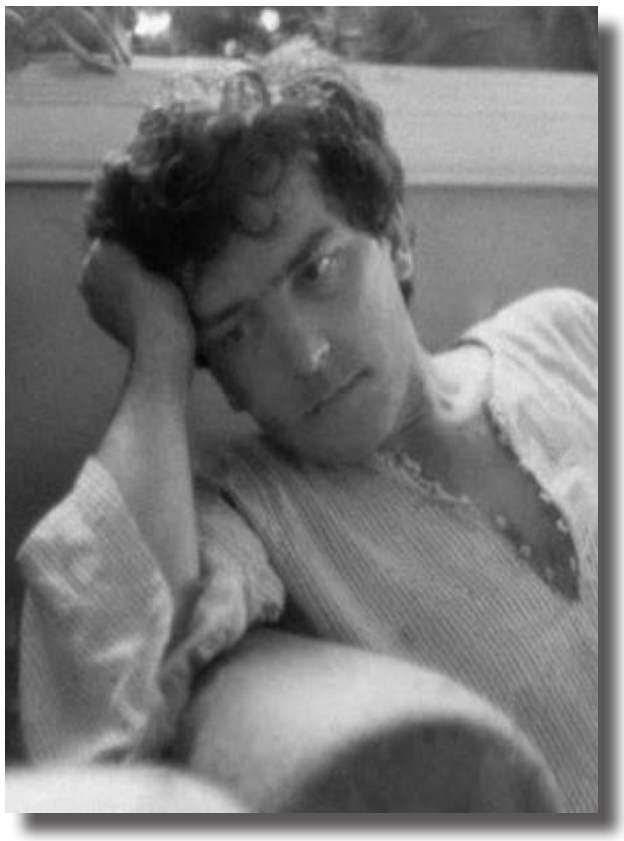

بعد انتهائي من امتحان الشهادة الثانوية، وتحت ضغط وضع العائلة المادي المعهود، قصدت بيروت كالكثير من أبناء سوريا بحثا عن فرصة عمل دون أي تأهيل مهني ودون أي هدف أو معرفة لمصيري بعد وصولي إلى نهاية رحلة محفوفة بالغموض.

وما زلت اليوم بعد مرور سنوات طويلة على تلك الرحلة أعيش حالة الذهول كلما استرجعت مشهد مدينة بيروت الغربية وأنا أدخلها لأول مرة، منظر الدمار والخراب الكلي على طرفي الطريق ولمسافة طويلة، كانت كمشهدٍ من فلم رعب استثنائي، رائحة الموت والسواد كان في ذروة ما يمكن أن أتخيله.

استعدت تلك الذكرى وأنا أدخل بعد عشرين عاما مدينة حلب عابرا منها إلى تركيا، كانت المقارنة المتطابقة حاضرة بشكل كامل، ما بين بيروت ١٩٩٠ وما بين حلب ٢٠١٤، لم يكن هناك من أضافة بين المشهدين سوى حضوري للخراب الأخير في حلب، والكيفية التي تم بها.

ولأن حجم الألم كان أكبر من أفواهنا، كما كان حجم التزوير أعتى من قدرتنا على المناكفة، فقد سرني كثيرا كتاب وجدته البرهان والحجة، يمكن للسوريين أن يرفعوه كدليل على وحشية هذا النظام وهو كتاب "سوريا الدولة المتوحشة" لميشيل سورا.

كنت وأنا أقرأ كتابه أِشعر بتنامي الامتنان لهذا الفرنسي من أصل تونسي الذي شاركنا مصيرنا بدمه، كما أحسن إلينا حين فكك بنية النظام الأسدي الذي جاءت نتيجة بحثه أنه لم يكن ذا هدف وطني أو قومي أو غيره من الأهداف التي كان يدعيها، سوى هدف واحد هو تثبيت حكمه واستمراره.

وكما يفكك بنية النظام فإن ميشيل سورا يفكك بنية المجتمع والطوائف وعلاقة كل منهما الآخر، وبطريقة منطقية يضعنا أمام ذواتنا كأفراد ومجتمعات، وبحرفية الأكاديمي يكشف أقنعة الأنظمة الكاذبة، كما يكشف سبل المجتمعات والمدن في الدفاع عن وجودها، ومن خلال قواعد علم الاجتماع والحوادث التاريخية التي عاشتها سوريا في ماضيها القريب نكتشف كيف وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم.

في شباط ١٩٨٢، بينما كانت قوات الحرس الجمهوري للنظام السوري تقصف حماة، رابع أكبر مدينة سورية بتعداد سكان يتجاوز ربع المليون نسمة، في نطاق عملية عسكرية كبيرة جدا، انتهت بسقوط ما يقدر بعشرة آلاف قتيل... كانت الصحافة الغربية تقدم ما يشبه التبريرات لذلك العمل بصفته شرا لا بد منه لإزاحة شبح الخمينية عن بلاد الهلال الخصيب...

بهذه المقدمة يبدأ الكتاب من ذروة الجريمة السورية في تاريخ سوريا الحديث، ليغوص في الحياة السياسية والاجتماعية التي سادت بعيد سيطرة البعث على الحكم، ليعمل مبضع المؤرخ والباحث في مجزرة حماه، مغرقا في تاريخ الطوائف السورية وتوجهاتها، وانعكاس ذلك التاريخ على مواقف اليوم، وما بين علم الاجتماع والحوادث التاريخية يضع مقولات الأسد الأب على محك الحقيقية ليجردها بشكل يصل حد السخرية أحيانا لكنه يبقي على منهجه العلمي طريقا له.

كما يستعرض الصراعات العسكرية والسياسية التي مر بها النظام السوري، معرجا على أبرز تلك الحوادث كمجزرة سجن تدمر ومحاولات الانقلابات الفاشلة التي جرت، وصولا إلى الطائفة العلوية وانتقام الريف من المدينة وترييف المدن، ليسهب في وصف حركة الإخوان المسلمين إلى الاقتصاد والتعليم وبنى المدن السورية.

ويفرد في بحثه الأخير تحليلا لمدينة طرابلس كنموذج لتحليل الصراعات الطائفية وارتباطها بالنظام السوري، ذلك كله قبل أن يستعرض المكونات السورية جميعها من كرد وأرمن وشركس وبدو ويهود.

من هو ميشيل سورا الذي قرأ النظام وكتبه بشكل تنبؤي؟

يقدم صديقه "جيل كيبل" وهو أستاذ ورئيس برنامج الدراسات الشرق أوسطية والمتوسطية في معهد الدراسات السياسية بفرنسا، وأوليفييه مونغان" بمقدمة الكتاب في النسخة الأولى تعريفا كاملاً يوفي سورا حقه جاء فيه:

"في الخامس من شهر آذار ١٩٨٦ أعلنت منظمة الجهاد الإسلامي إعدام الباحث المتخصص ميشيل سورا، والواقع أنه كان قد توفي قبل ذاك التاريخ بعدة أشهر، بعد أن عانى طويلا سوء المعاملة ونقص العناية الطبية حيث كان مسجونا رهينة في قاع زنزانة في مكان ما في لبنان.

لكن حرب الأكاذيب – وهي إحدى دعامات الإرهاب في الشرق الأوسط – أرادت أن تستغل وفاة ميشيل سورا إعلاميا، وأن يكون لرحيله وقعا على الأحداث، فجاء الإعلان عن وفاته في وقت مفيد للتأثير في منحى الانتخابات التشريعية الجارية في ذلك الوقت، وألبس موته لباس "إعدام جاسوس" لنحل هذا العمل تبريرا أخلاقيا.

لماذا هذا السعي الحثيث لتشويه ذكرى ميشيل سورا بعد أن اختير هو فقط من بين الرهائن الفرنسيين لقتله بكل سفالة؟

الجواب عن هذا موجود النصوص التي كتبها سورا، وفيها تحليل دقيق ومن دون تكلف للمشهد السياسي في الشرق في ثمانينات القرن العشرين.

لن يعجب القتلة هذا الكتاب، كما لن يعجب رؤساءهم الحريصين على منع أي بحث اجتماعي وعلمي، في حين يوكلون مهمة رسم صورة المجتمع إلى عملائهم من أصحاب الدعاية ممن يمجدون الحزب الواحد ويؤلهون القائد الفذ.

ولد ميشيل سورا سنة ١٩٤٧ في مدينة بنزرت في تونس، وقضى فيها طفولته حتى جاءت أحداث سنة ١٩٦١ حين قصفت الطائرات الفرنسية البلدة، مما شكل لديه صدمة نفسية.

أكمل ميشيل دراسته في مدينة ليون، لكنه لم ينجح أبدا في الارتباط بفرنسا الأم، سافر في عام ١٩٧١ إلى بيروت ليستعرب، يوم كانت العاصمة الثقافية للعالم العربي بقدر ما كانت مدينة عالمية يمكن للمرء أن يتنفس فيها حرية لا تعرفها حاضرات الشرق الأخرى، جال في صيف تلك السنة في المخيمات الفلسطينية في المنطقة بصحبة شبان أوربيين كانوا يرون في القضية الفلسطينية تجسيدا للأفكار الثورية.

تابع دراسته من سنة ١٩٧٢ حتى ١٩٧٤ في دمشق، حيث ترجم في إطار رسالة الماجستير قصص غسان كنفاني، ثم أصبح سنة ١٩٧٤ أستاذ التاريخ المعاصر في كلية الآداب في بيروت، وكان يدَّرس في الوقت نفسه اللغة الفرنسية في المخيمات التزام نضالي منه.

سنة ١٩٧٥ بدأت حياته المهنية العلمية بالمعنى الحقيقي للكلمة عندما حصل على منحة باحث مقيم في المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، حيث كتب أطروحة دكتوراه حول ساطع الحصري، أحد مؤسسي القومية العربي وبقي في دمشق حتى سنة ١٩٧٨.

كان ميشيل سورا شخصا رصينا ومنعزلا، عن خجل أكثر منه عن تردد، وكان يتمتع بقوة إقناع عقلية كبيرة، والواقع أنه كان من القلة النادرة من علماء الاجتماع المستعربين، في أواسط السبعينيات الذين عاشوا على أرض الواقع التي يجرون عليها أبحاثهم.

بعد أن انتهت إقامته في دمشق عاد إلى بيروت وانضم من سنة ١٩٧٨ حتى ١٩٨٠ إلى فريق عمل مركز الدراسات والأبحاث عن الشرق الأوسط المعاصر، ثم أصبح سنة ١٩٨٣ السكرتير العلمي للمركز، كانت هذه العودة إلى بيروت ذروة ما تمناه بقوة وصدق، إذ صار بوسعه العمل على ذلك التعايش العربي الفرنسي الذي يحمله في داخله.

وقد توصل سورا من خلال دراسته وتفكره في الدولة والمجتمع في سورية إلى استعادة مفهوم جوهري قال به المؤرخ ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي، ألا وهو "العصبية" التي تصنع من التلاحم الفئوي في الحي أو القبيلة أو الدين، العامل المفسر الأولي لتطور المجتمعات العربية وبناء السلطة.

كان عليه استكمال النموذج النظري للعصبية، والعمل عليه مجددا من أجل شرح النظام الاجتماعي السوري وتوضيحه، فدرس ميشيل سورا الدولة السورية التي تميزت بالقمع الوحشي والاستخدام المدروس للإرهاب، وأظهر بعدها البربري بمعناه الهمجي المتوحش، ثم التفت الى الطبقات والمجموعات الاجتماعية التي كانت ترى في تلك الدولة الضمانة لاستمرار اعمالها وتدفع الأرباح عليها، على الرغم من البربرية التي تمارسها هذه الدولة نفسها، ضمن هذا المنظور كان ميشيل ينوي القيام بدراسة الطبقات الوسطى في سورية مما كان سيتيح له استكمال تحليله بكامل ابعاده، إلا أن اغتياله حال دون ذلك".

تزوج ميشيل سورا من السورية ماري معمارباشي قبل اختطافه، مؤسساً لحياة أحب أن يعيشها في الشرق الذي اغتاله.

أحد زملاء معتقله "جان بول كوفمان" يصف في فيلم لعمر أميرالاي بعنوان "في يوم عنف عادي، صديقي ميشيل سورا.." الذي أنتج ١٩٩٦، كيف كان يسخر منه جلادوه وهو يحتضر مريضا، لتستعيد فرنسا جثمان سورا عام ٢٠٠٦، بمساعدة من قاتليه.

هو كتاب من الكتب القليلة التي وضعت المجتمع والنظام السوري تحت مجهر التحليل والتشريح والمراقبة، ونحن سواء اتفقنا أم اختلفنا معه، فإن كل جهد مبذول في هذا السياق هو جهد إيجابي، يساعد في تبديد ضبابية النظام السوري وغموض آلياته، كما يعيد النظر في المفاهيم والبديهيات التي مر على السوريين زمنا طويلاً مؤمنين بصوابيتها، ولربما كانت السبب في اضمحلال ثورتهم.

من هم قتلة ميشيل سورا ولماذا قتلوه

في ٢٢ أيار ١٩٨٥ قامت حركة "الجهاد الإسلامي" التي تحولت فيما بعد لحزب الله باختطاف ميشيل سورا وصديقه جان بول كوفمان من على طريق المطار أثناء عودتهما من فرنسا إلى بيروت، وذلك بعد متابعة من قبل المخابرات السورية التي كانت تترصده لنشره مقالات ودراسات في صحف عالمية باسم مستعار أحيانا وباسمه الحقيقي أحيانا أخرى، حول مجزرة حماه وسياسة القمع الوحشية للنظام السوري وكشفه لقومات النظام في استخدام العنف البدائي والعاري لتوطيد سلطته.

ولقد استشعر سورا في وقت مبكر خطورة النظام السوري على سوريا وتنبأ بمستوى الوحشية التي لم يتردد في استخدامها في حماه، كما عاد واستخدمها في كل المدن السورية في ٢٠١١، ولا سيما أنه قد عاش في دمشق ولامس حجم الأرهاب الذي تمارسه على الناس، وهو ما دفعه للإقامة في بيروت، لكن النظام السوري لن يهمل باحثا فضح زيف شرعيته التي بناها عبر سنين وكان من الطبيعي أن يلاحقه لينال منه في أول فرصة سنحت له عبر ذراعه في لبنان حزب الله.

وما يؤكد علاقة النظام السوري بمتل ميشيل سورا هو ممارسته لدور الوسيط في كل عمليات التفاوض ما بين الحكومة الفرنسية وحزب الله فيما يتعلق بالأسرى الفرنسيين.

في يؤكد جان بول كوفمان وهو من رفيق سورا في المعتقل والشاهد الأخير في حديثه بفيلم "يوم عنف عادي" على مسؤولية الجهاد الإسلامي عن اختطافهم قائلا: "مساء اختطافنا غابت المرسيدس البيضاء للخاطفين في مرآب تحت الأرض، فانغلق وراءنا باب مصيدة، استمرت ثلاثة أعوام طوال عشنا خلالها عالما من الاقصاء والجنون، فالجماعة التي اختطفتنا وهي الجهاد الإسلامي كانت تطالبنا بالتواطؤ الكامل معها وتفرض علينا الانصياع المطلق لها".

في ٢٨ تموز ١٩٨٥ نقل كل كوفمان وسورا الى منزل بلا نوافذ غير بعيد من مطار خلدة، تعرضا فيه للتعذيب، ليأخذوا بعدها سورا إلى مكان أخر، وينقطع صوته عن زملائه.

يقول كوفمان: "بالنسبة لي ثمة أمر واحد مؤكد، إن ما حدث لميشيل كان إعداما وقتلا متعمدا ارتكب عن سوء نية من قبل خاطفينا وعن احتقار ولؤم عندهم

ويوضح كوفمان: "في ٢٨ كانون الأول ١٩٨٥ في عيد القديسيين نقلوه فظننا أنهم سيطلقون سراحه، وفي اليوم التالي قلت لرفاقي ثمة أمر غريب، لدي انطباع أن ميشيل ما يزال هنا، بقي ميشيل عشرة أيام بجوارنا وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٨٦ خلال الليل حدثت جلبة غريبة، وفي اليوم التالي اختفى صوت ميشيل المتحشرج وسعاله وفي تلك اللحظة أدركنا أن ميشيل لم يعد بيننا".

البعبع

سحر الأحمد

عندما دخل البيت، قبيل آذان المغرب بقليل، فتحتُ له الباب، وبدون سلام أو كـلام، صـاح بأعلى صوته أين بيجامتي؟
أخي وليد شاب وسيم، أنهى دراسته الجامعية قسم الاقتصاد، وقد قرر فور انتهائه من الخدمة الإلزامية بالجيش أن يـدخـل سـوق العمل مـن أوسـع أبوابه، ذهبت مسرعة، وقد تملكني الإربـاك، لإحضار ما طلب مني، ولم تمضِ إلا ثواني، حتى وجدتني أطير في الـهـواء، بعد أن أمسكني وليد ورفعني بقامته الممشوقة؛ وترك جسدي النحيل يرتطم بالأرض. وأنا أتلقى الصفعات على وجهي وجسدي؛ أصبح عقلي مثل ساعة حيط فَقدت الـذاكـرة، وتـضـارب مؤشر دقائقها مع مؤشر ساعاتها؛ فباتوا جميعا يعلنون الحضور بنفس الوقت، كان هاجسي الوحيد معرفة الذنب الذي اقترفته، لأنال هذه الوجبة الدسمة من الضرب قبل الفطور بدقائق؟!
في هـذه المعركة الغير متكافئة، يُفترض أني المُخطئة دائماً؛ لأن قائمة الممنوعات في أسرتنا تطول، احتمال أني أجرمت، وتعثرت بإحداها دون أن أدري، رغم أني صغيرة ولم أتعدَ العاشرة من عمري، كان عليَّ أن أنفذ طلبات أخوتي الذكور دون اعتراض وبكامل الرضى؛ لأنه يحق للصبي ما لا يحق للبنت، وهذا الأهم بعُرفنا، فلا يُسمح للبنت رفع صوتها فوق صوت أخاها الكبير، لا تراجعه بأي قول، أو تصرف يقوم به؛ ولا يحق لها الدفاع عن نفسها، وإن حصل!؟ ستتضاعف عقوبتها.

فيما كان الضرب مستمراً على جسدي مع كم كبير من الشتائم، حاولت أن أتجاهل الألم وأركز على السبب الـذي يـؤدي إلـى وجعي هـذا اليوم. فأنا مازلت أكمل صيامي، في هذا الحر الشديد، ولبيّت كل طلبات أمي، بجلب ما نقص من مواد لزمت لطعام هذا اليوم، أخي دخل البيت الأن، ولم يتسنَ لأحـد أن يشكوني له حتى يبادرني بهذا العنف.

كانت أمي بالمطبخ، بأقصى حالات الانهماك؛ لأنها تضع اللمسات الأخيرة، قبيل الإفطار مع كثير من الحب لنا؛ على ابـداعـات مأكولاتنا الشرقية، هي امرأة مفرطة بكل شيء، ظالمة الجمال، قوية البنية، صاحبة قرار، عطاؤها لنا بلا حدود، جميعنا نحبها خـارج حـدود المنطق، وتحديدًا أنا، فهي مركز حياتنا، عندما تخرج من البيت، نغلق البـاب، ويبقى البيت في الخارج. إلا أن إفراطها بالتمسك على ما تربت عليه؛ وايمانها بمقولة "الرجال قوامون على النساء"، جعلها تتنازل عن حقها، بإصدار القرارات في البيت، وأهدت هذه المهمة لوليد، الذي بدوره جعل حياتي وحياة أخواتي جحيماً حقيقياً.

في إحدى الأيام، سمعت أختي تهمس بأذن أختي الأخـرى، وهي تشير إلى العقد الذهبي، الذي تزين به رقبتها، أن حبيبها أهداها إياه؛ بعيد ميلادها، ووعدها بطلب يدها من أهلي فور استلامه وظيفته الـجـديـدة، وهي بدورها وعدته ألا تنزعه من رقبتها، حتى الممات، قالت لها أختي الوسطى برعب ودهشة: "ويلك إن عرف أخوك بأمر العقد، حتى لو كنتي ذاهبة إلى لحدك! سيكون موتك موتين وربما أكثر!".

توفي والـدي منذ سنين، وترك في البيت أم بسيطة، لا تقرأ ولا تكتب؛ وليد الولد الأكبر بيننا، تليه أخواتي الاثنتين، وأخـي صـلاح، وأخيرا أنا، وبعد أن غيّب الموت ربُ أسرتنا، كان لا بد من بديل يملأ فراغ غياب والدنا؛ ويساعد أمي في تربيتنا، فكان وليد، الذي أصبح الآمر والناهي، بشؤون حياتنا، والذي راق له هذا المنصب، فأصبح "بعبع البيت".

قُـدِّرَ لأسرتنا، أن تنتمي لشعب يعيش شرق البحر الأبيض المتوسط؛ وإحـدى عاداته المهترئة، أن يكون لكل أنثى ولـي أمـر، وإن كانت لا تنطبق عليه مواصفات ولي الأمر، ولكل عائلة ذكر يرأسها، ليحافظ على ضبط تصرفاتها، وخصوصا البنات، حتى لو كانت إحداهن تكبره بالعمر؛ وعندها من الوعي والعلم، ما يخولها لرئاسة دولة.

فـي هـذه الـبـلاد، معظم الأمـهـات، تقلد أكبر أولادهـــا، هـذا الوسام فيكبر الوحش داخله؛ ويخرج على هيئة مسؤول بعد مرور أشهر فقط من توليه هـذه السلطة، فتتحول حياة الأسرة لساحة معارك، تود الأم فيما بعد لو أنها تستعيد مملكتها من جديد؛ لأن المشاكل والتعسف، تكثر بلا رحمة، بينما هي تتحول لامرأة، بكّاءة تعيسة؛ بسبب ما آلت إليه مصائر بناتها من الظلم الذي يلحق بهن، بسبب هذا الكائن، ولا تنفك تلعن قدرها، من "البعبع" الذي صنعته، لكن هيهات، "فقد سبق السيف العذل"!.

كانت المآذن تصدح، بحلول وقت المغرب؛ في حين صوت أمي يكاد يكون أعلى منها، وهي تصرخ، وتكيل لوليد، دعوات موجعة؛ بينما تحاول أن تخلصني من بين يديه، وهو يصيح كثور هائج؛ لقد تأخرت ابنتك بإحضار البيجامة، تمنيت بـقـرارة نفسي لحظتها، بأن كل دعواتها تخترق جسد وروح من هو بحكم الرَحم "أخي"؛ وحوّله مجتمعنا الشرقي، بمباركة من أمي ودون وعي إلى (البعبع)؛ الذي أكرهه إلى يومنا هذا.

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع